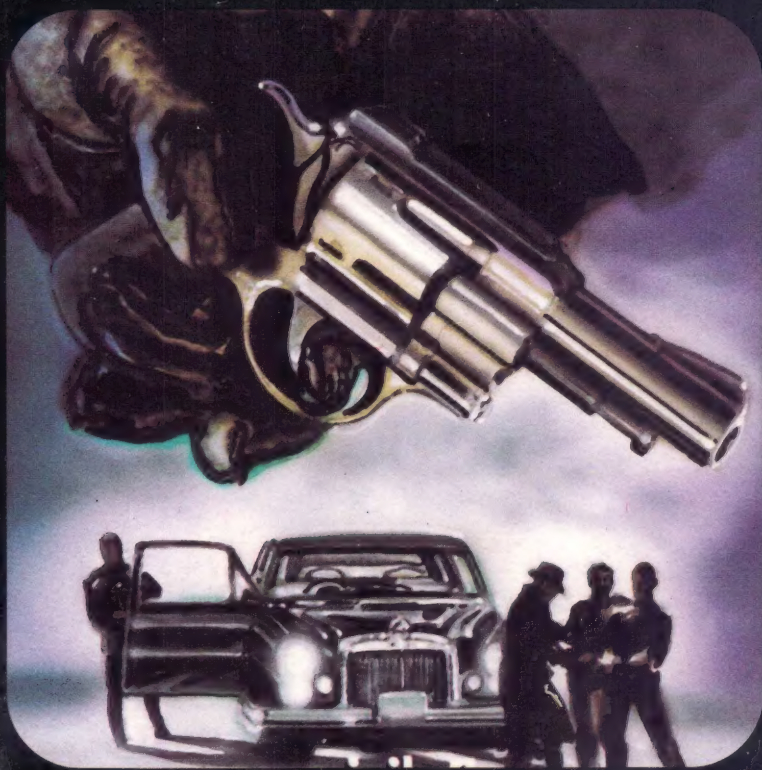


أرسيڤ لوبيڤ

الطائرة المحترقة



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي "موريس بلان" وقد لاقت إقبالا عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والانتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .
إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس . وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .
فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعربة

الطائرة المحترقة

(٤٥)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش م.م.م.

ص.ب ٣٧٤ جونية - لبنان

تلفون : 00 961 9 902 131

فاكس : 00 961 9 902 939

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب

وبأية وسيلة إلا بعد الحصول علي موافقة خطية من الناشر .

كان الضباب كثيفا منخفضا ، تطفو فوقه رؤوس اعمدة التليفون كالرماح المشرعة وسط سماء مظلمة إلا من ومضات النجوم ، راسمة معالم الطريق الممتدة في تلك المنطقة من الريف ، المليئة بالمستنقعات . غير أن منزلا واحدا كان يشذ عن هذه القاعدة .. وهو منزل لا يختلف في شيء عن امثاله من اكواخ تلك المنطقة ، إلا في أن ضوءاً باهتا كان يشع من إحدى نوافذ حجرات الطابق الأسفل منه في مواجهة الطريق. وكان يضيء الحجرة مصباح صغير وضع على المائدة ، فببت معالمها في ضوءه واضحة جلية .. غير أنها لم تكن تتسق ومظهر الرجل الجالس فيها .. كان كل ما بها عتيق الطراز وتزين جدرانها صور دينية وآيات من الإنجيل ، مما يدل على أن صاحبها كهل من رجال الدين ، أو عجوز من العوانس .. بينما كان شاغل الحجرة يلوح في شرح الشباب ، عصري المظهر .

وكانت مصاريع النافذة مفتوحة رغم ذلك الضباب الذي كان ينساب

منها إلى الحجرة كدخان خفيف .. ولكن الرجل كان من الاستغراق في عمله بحيث لم يبال به .. وكان يرتدي سراويل قديمة رمادية اللون ، وصدره من الصوف كان لونها أبيض يوما من الأيام ، ويضع فوق كتفيه معطفا من المشمع الواقى من المطر حال لونه .. وكان قميصه مفتوحا غير أن بنيقته كانت فوق المنضدة بجوار الموقد وداخلها رباط الرقبة .

وفي تلك اللحظة هب الكلب من رقاده بغتة وراح ينبج نباحا عاليا ، تبعه بزمجرة مخيفة .. فأسرع الرجل إلى الحجرة حيث وجد الكلب واقفا بجوار النافذة تنثال من فمه تلك الزمجرة المتصلة أشبه بالسباب أو الوعيد .. فصاح به في جذل :

- صه ايها الوغد .. ماذا دهاك .. هل هناك من يقترب من مملكتنا الصغيرة.. صه .. فما أستطيع أن اسمع شيئا وسط هذه الضجة الحمقاء ..

كف الكلب عن النباح في جهد خارق ، وراح ينظر إلى صاحبه بعينين يملؤهما العتاب .. غير أنه كان في شاغل عنه وقد وقف بلا حراك في النافذة وراح يرهف السمع من جديد .

ولكن الصوت لم يتكرر ثانية . وخيل إليه أن الصيحة الثاقبة التي سمعها لم تكن صيحة استغاثة بقدر ماتشبهه نداء رجل رجلا آخر ليخبره أنه عثر على شيء ما .. ولكن من ذا الذي يبحث عن شيء في منتصف الليل ، وفي طريق يكسوها الضباب السميك ..

وفي تلك اللحظة وقع شيء لم يكن في الحساب .. وكان وقوعه مفاجئا بحيث ظل لحظة حائرا مبهورا يقلب نظراته في أرجاء الحجرة، على حين عقلت الدهشة لسان كلبه عن النباح ..

فقد دوى بغتة صوت تحطيم زجاج في عنف وشدة ، وتلاه صوت ارتطام شيء صلب بالجدار المقابل للنافذة .. فلما افاق الرجل من دهشته تبين أن قطعة كبيرة من الحجر قد حطمت الزجاج الأعلى ثم ارتطمت بالجدار وسقطت في أرض الحجرة .. وانقلبت الدهشة

غضبا ، فمضى إلى النافذة وصاح :

- أين هذا الوغد الذي فعل ذلك ..

ثم أسرع يجتاز الحديقة إلى الطريق ، باحثا عن " الوغد " الذي يقنف بالأحجار بيوت الناس في منتصف الليل ، وهو يرجو أن يجده رجلا قد استبد به الثمل بحيث لا يدرك مايفعله . ولكنه لم يجد أحدا .. وعاد ينادي من جديد فلم يجبه غير صدى صوته يتجاوب من بعيد .. ولم يدر أي جهة مضى إليها قاذف الأحجار ، فإن الضباب الكثيف يجعله لا يرى أبعد من أنفه .. فراح يرهف السمع جيدا ، وعندئذ أدرك أن كلبه قد تبعه، ولكنه وقف مطاطى الرأس ساكن الحراك يتشمم الأرض في قوة .. فنظر الرجل إلى الأسفل ، فرأى أمامه بقعة كبيرة داكنة اللون.. واشعل عودا من الثقاب ، وانحنى يفحص تلك البقعة ، ومالبث أن أطلق صغيرا خافتا من بين شفتيه ..

فقد كانت البقعة لاتزال دافئة لزجة .. كما كانت قانية اللون ، بحيث لا يخطئ معرفة كنهها .. كانت بقعة من الدماء .

وبدا كلب الصيد يزمجر فجأة ، وما لبث صاحبه أن سمع صوت محرك سيارة ينبعث من بعيد خافتا ، ثم يزداد صوته اقترابا في بطن شديد ..

فأسرع الرجل إلى الحديقة ، وأوصد باب السياج ثم ارتكز عليه بمرفقيه ووقف ينتظر ، وقد أدرك بغريزته أن لتلك السيارة التى تشق طريقها وسط الضباب علاقة وثيقة بذلك المجهول الذي قذف النافذة بقطعة الحجر ، ثم اختفى في أحشاء الليل البهيم فجأة كما ظهر فجأة.

وبدا مصباحا السيارة خلال الضباب ، وما لبث أن وقفت أمام البوابة دفعة واحدة .. وسمع الرجل اصواتا تعلو على صوت المحرك ، ثم سمع صوت فتح باب السيارة وغلقه ، ووقع اقدام تقترب من البوابة ..

كان القادم موشكا أن يضع يده فوق السياج عندما رأى وهج لفافة

على قيد أصبع من وجهه ، فتراجع إلى الخلف مذعورا .

وعندئذ ابتدره صاحبا قائلا بلهجته المرحية :

- طابت ليلتك .. هل يمكنني أن أسدي إليك خدمة ما .. ؟

وقبل أن يسمع جوابا ، كان باب السيارة يفتح ويغلق من جديد ،
ووقع الاقدام يقترب من البوابة من جديد .. ولكن القادم هذه المرة كان
يحمل مصباحا كهربائيا في يده ، القى بضوئه فوق وجه نزيل الكوخ ،
ثم هبط به حتى قدميه ، متمهلا لحظة عند اليدين الملوئتين بالنزيت ،
والسراويل القديمة القذرة ..

وقال القادم في اقتضاب : هل أنت هنا منذ زمن طويل يا صاحبي ..
وابتسم الرجل في الظلام ، فقد خدع القادم من مظهره وظنه من
العمال .. وما لبث أن أجاب بلهجة أهل الشمال :

- لماذا ؟ .. في موسم الكريز القادم اتم ثلاثين عاما هنا ..

- لست اعني ذلك .. هل كنت تقف بجوار السياج منذ زمن طويل ..

تم تحول والقى امرا سريعا على رجل كان يقف بجواره ، فمضى
هذا نحو السيارة حيث اوقف المحرك ، علي حين كان صاحبا يجيبه :

- ربما منذ خمس دقائق .. ربما اكثر من ذلك .. لماذا تسال .. ؟

- هل رايت رجلا يمضي في هذه الطريق .. ؟

- اجل .. " جافير شيبشانك " الشيخ .. وكان ثملا بترنج ، وذلك

حوالي السابعة .

فصر الآخر على أسنانه غيظا ، وقال :

- لست اعني ذلك .. ولكن منذ هنيهة .. وفي هذه الدقائق الأخيرة ..

- كلا .. لم ار احدا .. ولكن اي رجل تعني .. ؟

- اصغ إلي ايها الرجل .. هل هذا كوخك ..

- إنه كوخ أبي ..

- واين هو ؟ .

- لقد ذهب اليوم إلى " نوروتش " ..

- إذن فانت بمفردك الليلة ..

- تماما .. يامستر ..

وعندئذ قال " إميل " في شيء يشوبه الوعيد :

- هل أنت واثق من ذلك تماما .. ؟

- بلاشك .. هل تظنني معنوها ..

وومض المصباح الكهربائي مرة أخرى فرأى على ضوءه مسدسا

كبيراً مصوباً نحوه ، على حين قال الآخر :

- تعال إلى الداخل .. هيا سريعاً فإنني في عجلة ..

فلما احتوتهما الردهة استطرد الطارق قائلاً :

- ماذا صنعت بالرجل الذي جاء إلى هنا منذ قليل ؟ ..

- لقد أخبرتك بانني لم أر أحداً قط .. ولعل من الأفضل أن تلقي بهذه

اللعبة جانبا فربما انطلق الرصاص من تلقاء نفسه ..

جلس نزيل الكوخ في مقعد كبير بجوار الموقد ، وراح يربت رأس

الكلب ولكنه كان في الواقع يحاول أن يخفي رباط رقبته الموضوع على

المنضدة بجانبه ، إذ لم يكن من المستساغ أن يكون من النوع الفاخر ،

وعليه اسم أحد متاجر لندن الشهيرة ، بينما يبدو هو في زي العمال

من أهل الشمال .

وبدا له ذلك الرجل المسمى " إميل " اجنبياً وإن كانت لغته الإنجليزية

لاتشوبها شائبة .. كما أن ثيابه كانت باللغة الاناقة وفي إصبع يده

اليسرى خاتم ثمين ترصعه ماسة زرقاء نفيسة .

- اصغ إلي يامستر .. لقد سئمت حماقتك ، وهاك المنزل ففتشه إذا

سئمت ، ثم أرحني من وجهك الكئيب ..

ولكن " إميل " لم يعره التفاتا .. وهوت يده بالمسدس إلى جانبه ..

كان وقتئذ يحملق في النافذة المكسورة ، وفي قطعة الحجر الملقاة في

وسط الحجرة .. ومالبث أن قال في ببطء :

- متى حدث هذا .. ؟

- وما شأنك به أنت ؟

فصاح به ملوحاً بالمسدس : صه أيها الاحمق ..

ثم انحنى فالتقط الحجر ، وراح يفحصه ويزنه بيده ..
وعندئذ تحول إلى الآخر وراح يتفرس فيه بعينين سوداوين عميقتين
وقال:

- متى حدث ذلك .. ومن الذي القى بهذا الحجر على النافذة ..
فتردد الرجل لحظة يسيرة ، ولكنه عول على ان يقول الحقيقة ، فقد
يساعده ذلك على إلقاء ضوء على ذلك السر الذي كان يزداد كثافة لحظة
بعد أخرى :

- منذ عشر دقائق .. وهذا هو الذي جعلني اخرج إلى السياج ..
فحذجه " إميل " بنظرة قاسية ، وقال :
- هكذا .. وهل لم تجد الرجل الذي قذف بالحجر .. ؟
- لا ..

ومضى " إميل " إلى النافذة وهتف يدعو رفيقه ، ثم انتحيا ركنا
وراحا يتحدثان طويلا في صوت خافت بالالمانية ، لم يسمع منه نزيل
الكوخ إلا هذه العبارات " ريفي غبي " و " نضيع وقتنا " وكان من الجلي
انه استطاع ان يضللهما حتى اعتقدا انه من عمال الشمال .. ولكنه
كان بعيدا كل البعد عن معرفة حقيقتهما .. واخيرا سمع احدهما
يقول:

- " الأفضل ان نتحقق من الامر " .. ترى ما الذي يبغيان التحقق
منه ..

ولم ياخذا رايه ، فقد مضى الآخر يفتش حجرات المنزل واحدة بعد
الأخرى، وما لبث ان عاد فقال لـ " إميل " : لم اجد شيئا ..
فامرهم ان يفتش الرجل نفسه ، ولكن هذا تراجع خطوة إلى الخلف
وهو يصيح:

- ماذا تريد ان تفعل .. وبأي حق .. ؟

- ارفع يديك ..

واخيرا انتهى التفتيش .. وكانت ربطة الرقبة قد القيت في غير
عناية فوق المائدة عندما اخرجها الرجل من جيبه .. ولكنهما لم ينتبها

إلى اسم المتجر المنقوش عليها وأخيرا بدا الاقتناع على وجه "إميل" ،
وأوما برأسه مرة أو اثنتين ، فعاد رفيقه إلى السيارة وأدار المحرك ،
على حين أخرج "إميل" حافظة نقوده وهو يقول :

- هل يمكنك أن تطبق شفتيك يا صاحبي .. ؟

وأخرج ورقتين من ذات الجنيه ، فأجاب الآخر :

- إذا كان الأمر كذلك يامستر .. فلن يعلم أحد شيئا .

- لقد فر أحد المجانين من مستشفى خاص .. وهو الذي كذب نافذتك
بالحجر .. ولذلك نبحت عنه ، ولكننا لانحب أن يعرف أحد عن الأمر
شيئا ، وهاك ما يكفي لإصلاح زجاجك ..

ووضع الجنيهين على الخوان فنظر إليهما الآخر في نهم وجذل ،
بينما استطرد "إميل" :

- وسوف أعود من هذه الطريق بعد يومين أو ثلاثة .. وساتحرى
الأمر .. فإذا وجدت أن أحدا لا يعلم شيئا مما حدث ، فلك ثلاثة جنيهات
أخرى .. أما إذا وجدت القوم على علم به ، فعندئذ .. كان الله في
عونك.. هل تفهمني جيدا .

ونطق بهذه العبارة في هدوء عجيب جعل الآخر يتفرس فيه
متعجبا ، وقد أيقن أن أمامه أفعوانا ناعم اللمس شديد الخطر ..
ومالبث أن أجاب :

- تماما يامستر .. لن أقول شيئا البتة ..

وأسرع "إميل" يغادر الحجرة ، وبعد لحظة كان صوت السيارة
يتلاشى بعيدا وهي تمضي في طريقها ..
وراح يخاطب كلبه قائلا :

- ما معنى ذلك كله يا "جيري" بحق الشيطان ؟ ..

ونظر إلى ساعته فوجدها الواحدة بعد منتصف الليل ، فتمطى وعاد
يقول للكلب :

- سوف نحاول حل اللغز في الصباح يا "جيري" .. أما الليلة ..
وأمر الرجل كلبه أن يصحبه ، ثم أسرع يجتاز السياج ويمضي

مسرعاً صوب الجهة التي مضت السيارة فيها .. وكان الضباب لا يزال كثيفاً حول الكوخ ، ولكنه بدا يخف رويداً كلما ابتعد عنه .. ولم يمض وقت طويل حتى بلغ مسمعه صوت السيارة من جديد ، فتمهل في سيره وراح يحاذر في تقدمه ويلتصق بالأعشاب النامية على حافة الطريق حتى لمح خلال الضباب الخفيف الضوء الأحمر الذي يشع من مؤخر السيارة كما سمع أصواتاً مختلفة تحدث في انفعال .

وراح يتقدم في حذر وخفة .. ولكنه لم يكد يدنو من السيارة حتى أطلق لها سائقها العنان ومضت تشق الظلام ثانية ، وعاد السكون يشمل المكان من جديد...

وأخذ الرجل يتفحص الطريق وهو يعجب ما الذي وجده الرجلان في تلك البقعة بالذات وأطلقا الرصاص عليه ..
أهو الرجل الذي يبحثان عنه .. الرجل الذي يرجح أن يكون هو الذي قذف نافذته بالحجر ..

وعندئذ جاءه الجواب سريعاً .. فعند حافة الطريق كانت بركة من الدماء الدافئة .. فغمغم قائلاً :

- لقد نزف المسكين معظم دمه .. ولكن أين هو .. وعاد إلى كوخه وهو يضع يديه في جيبي سراويله ..

وكان يمعن التفكير في الأمر ويقلبه على مختلف وجوهه دون أن يجد له تفسيراً .. فلماذا لم يلجأ الجريح إلى الكوخ مباشرة بدلاً من أن يقذفه بالحجر ، ثم يمعن في فراره أكثر من ريع الميل وهو يعلم أن هناك من يطاردّه .. وإذا كان لم يلجأ إلى الكوخ لعلمه أنهما سوف يفتشانه فلماذا قذفه بالحجر ؟ .. وما غرضه من ذلك .. ؟

واجتاز السياج ثانية ثم مضى إلى باب الكوخ .. وعندئذ وقف جامداً مكانه ، وقد ضاقت عيناه .. فإن الأشياء التي كانت فوق المائدة قد حركت من مواضعها .. والبنوقية نفسها لم تكن حيث وضعها .. فمضى إلى المائدة في سكون ، وفتح درجها ، فوجد الدليل الحاسم على صدق شكوكه .. كان بالدرج بعض الأوراق الخاصة ، فالفأها

مفضوضة وقد نحيت جانبا .. إذن فقد كان بالحجرة شخص ما خلال ربع الساعة الاخير .. ومع ذلك فمازال الجنيهان في موضعهما فوق الخوان ومعنى ذلك أن الزائر لم يكن من اللصوص ، وإنما هو شخص ترك في ذلك الموضع ليراقب الكوخ ، فانتهاز فرصة خروج صاحبه ليفتشه من جديد .. ولكن أين ذهب الرجل بعد ذلك ..

وعاد الرجل وكتبه إلى الحجرة بعد أن اوصد الباب في إحكام .. ثم وقف بجوار النافذة يحاول أن يخترق الظلام بنظراته النفاذة .. وفي الوقت نفسه كان يعبث باستخراج قطع الزجاج من النافذة ، عندما لمست يده فجأة قطعة من الورق ..

كانت ممزقة كثيرة الثنايا .. ولكن الكلمات التي سطرت عليها في لون احمر قان كانت لاتزال مقروءة .. وكانت بالمثل من الغموض بحيث ظل لحظة طويلة يتأملها وقد استغرق في التفكير .. وإلا فما معنى هذه الكلمات :

” ماري جان عاجل .. جسر . ج . ١ . هـ ”

وما من شك في أن هذه الورقة كانت ملفوفة حول قطعة الحجر التي قذفت بها النافذة .. وقد وضع ذلك السر الذي ظنه من فعل معتوه أو سكير .. وما من ريب كذلك في أن هذه القصاصة هي ما كان الرجلان يبحثان عنه في الكوخ وفي جيوبه.. ولكن أحدا منهما لم يخطر بباله أن يبحث عنها في مصراع النافذة إذ انفلتت من الحجر واشتبكت بشظايا الزجاج ..

وثنى الرجل الورقة في عناية ثم وضعها في جيبه وهو لا يزال ممعنا في التفكير .. ولو هيئ للسيد ” إميل ” أن يرى النظرة التي ارتسمت في عيني نزيل الكوخ وهو يطفئ المصباح ويمضي إلى فراشه ، لاقض مضجعه السهاد في ليلته هذه ولأترك أي بلاء سوف يلقيه من ذلك الذي خاله عاملا ريفيا غيبا .. من ” أرسين لوبين ” .

ولقد كان من سوء طالع ركاب السيارة الليلة أن ” أرسين لوبين ” هو الذي قُذِف كوخه بالحجر تلك الليلة .. بل الأحرى أن نقول كوخ

مرضعته العجوز " فكتوار " التي هجرت فرنسا نهائيا واوت إلى هدوء الريف الإنجليزي فابتاعت هذا الكوخ باسم مسز " أسكديل " لتقضي فيه بقية عمرها .. وسمع صليل غطاء صندوق الخطابات ، فاطل من النافذة ورأى موزع البريد الكهل الذي حياه في احترام واخبره أن معه خطابين للسيدة " أسكديل " فطلب منه أن يضعهما في الصندوق إذ إنها سوف تحضر اليوم من " لندن " ..

وكاد الرجل يمضي لشانه لولا أن لمح الزجاج المكسور فصاح :
- يا إلهي .. ما الذي كنت تصنعه هنا ياسيدي ؟ لقد كان سليما أمس ..

- لقد أصابني عسر الهضم خلال الليل يا " جو " .. ولعلك لاتعلم أن اكل الزجاج خير دواء لعسر الهضم ..

- أه .. كذا .. ولكن يخيّل إلي أن إحدى السيارات قد أصابها عسر الهضم كذلك في هذه الطريق ياسيدي .. فلم أر في حياتي بركة من الزيت بهذا الحجم .. وهي تبلغ عشرة أمثال تلك التي أمام البيت ..
- ما هذا الذي تقول يا " جو " .. هل وجدت زيتا أمام البوابة ..

أسرع " لوبين " يرتدي قميصه وسراويله ويمضي إلى الخارج ، فإذا به يرى أن الرجل لم يكن مخدوعا فيما راه .. إذ كان الزيت يغطي بقعة الدم التي راها عند منتصف الليل .

وحياه موزع البريد وانصرف لشانه ، فعاد " لوبين " يتأمل البقعة ووجدها تغطي المساحة التي كانت تخفيها تماما .. فغمغم : عظيم .. عظيم جدا ..

واسرع يجتاز الطريق إلى موضع البقعة الكبيرة الأخرى التي راها منذ ساعات على مبعده ربع الميل ، فوجدها مغطاة بالزيت كذلك .. وعندئذ وقف يدخن لفافته مفكرا فما من ريب أن الزيت لم يوضع فوقها ساعة ذلك الحادث، فهو واثق من ذلك كل الثقة وما من ريب كذلك في أن احدا قد عاد بعد ذلك ليخفي آثار الدماء بهذه الطريقة السخيفة لأن الزيت لايسيل من السيارات بمثل هذه الوفرة .. كما أنه زيت جديد

وليس من الزيت المستعمل الذي يسيل من آلات السيارة ..
وعاد إلى الكوخ ، فمضى إلى الموقد ليغلي قدحا من الشاي.. وفيما
هو كذلك سمع طرقة علي الباب ، تبعها نباح الكلب .. فصاح :
- ادخل .. سوف احضر حالا ..

وعندئذ صافح سمعه صوت أشبه بتغريد البلابل يقول :
- ولكن هل الكلب يعض ؟ .

فاجفل "لوبين" ، واسرع إلى الباب الخارجي وهو ينتهر الكلب ،
وإذا به يرى فتاة في نحو الخامسة والعشرين من العمر ، ذات حسن
خارق ، وفتنة جارفة ، ترتدي ثيابا أنيقة .. فغمغم قائلا في عجب :
-معذرة ، فقد كنت اتوقع مقدم مرضعتي العجوز .. ولذلك اذهلني
ظهورك المفاجئ .. هل لك أن تتفصلي بالدخول ؟ .
وحدقت الفتاة النظر إليه لحظة ، فخيل إليه أن في نظراتها لمحة من
العجب والدهشة ثم قالت :

-لقد تعطلت سيارتي في الطريق على قيد خطوات من منزلك ، فهل
أجد لديك تليفونا أتصل به لأحضر من يصلحها ؟ .
- أخشى أن تكون آلات التليفون نادرة في هذه المنطقة .. ولكني قد
استطيع إصلاح العطب بنفسي ، فإذا عجزت فإن سيارتي سيحضرها
أحد العمال إلى هنا بعد قليل وفي وسعه أن يرى مايمكن عمله من
أجلك.. هيا بنا نرها أولا ..

ترددت الفتاة لحظة ومالبثت أن سارت معه نحو سيارة صغيرة ذات
مقعدين كانت تقف في جانب من الطريق على قيد مائة ياردة من
الكوخ.. وفي أثناء ذلك قالت :

- إذن فلديك سيارة .. لقد حسبت ذلك انبر من آلات التليفون هنا ..
- بالنسبة للسكان الأصليين .. أما أنا فليست إلا زائرا .
وعلى الرغم من الابتسامة الشاحبة التي لاحت على شفتي الفتاة ،
فإن علامات الحيرة لم تفارق أساريرها ، وهي تمضي قائلة :
- إنك شخص عجيب .. ولكن متى جئت إلى هنا ..

- منذ يومين فقط .. والآن دعينا نبحث ما اصاب سيارتك .
وتقدم يفتح غطاء السيارة ، فما كاد يفعل حتى سمع انة خافطة ،
فالتفت إلى الخلف حيث رأى الفتاة قد اغمضت عينيها وتشبثت بباب
السيارة لتتقي السقوط .. فاسرع نحوها يسالها عما اصابها ،
فغمغمت في همس ضعيف :

- هل لك ان تحضر لي قدحا من الماء .. إنني أشعر بدوار شديد ..
- بلا ريب .. اصعدي إلى السيارة ريثما أحضر الماء .. وعاد بعد
لحظة يحمل قدح الماء ، فوجدها قد انتعشت قليلا ، وهي تبتره قائلة:
- معنرة لما سببته لك من عناء .. ولكننى لم أتناول أي شيء من
الطعام ..

- يا إلهي .. هذا مرض يجب ان نعالجه في الحال .. هيا بنا إلى
الكوخ ..

وعادا اتراجهما معا ، فاستطرد يسالها :
- إلى أين كنت ذاهبة في هذه الساعة المبكرة ، دون فطور ..
- إلى قصر خالي القريب من " كمبردج " .. فقد أرايتني على التبكير
في الذهاب لأشترك في مباراة للتنس يقيمها بعد ظهر اليوم .. ولكن
يا إلهي .. ما الذي اصاب النافذة .. إنني لم انتبه إليها إلا الآن ..
- لقد أراد أحد السكارى ان يداعبني ففذفني بحجر .. ولست ادري
ماسوف تقوله مرضعتي عندما تراها ..

- أنتوقع قدومها قريبا ..
- في أية لحظة من الآن ..
وصب الشاي في قنحين وضعهما على المائدة ، ثم مضى إلى الموقد
ليحضّر البيض ، وهو يصيح بها في جنل :
- ضعي بعض اللبن في قنحي ايتها الحورية .. وقطعتين من
السكر ..

ولم يطل تمهله في اثناء العبارة الأخيرة إلا جزءا من الثانية . ولم
يطل بالمثل وقوفه جامدا بلا حراك إلا هذا الجزء من الثانية .. ولكن

عينيه ظللتا متعلقتين بالمرأة الموضوعة فوق المغسل ، والتي كان يرى فيها صورة الفتاة وهي تجلس إلى المائدة .. فقد راها تضع في قذحه مسحوقا ليس من اللبن أو السكر في شيء ..

وإذا كان ذلك المسحوق الذي راها تضعه في قذحه مادة مخدرة ، ولا ريب انه كذلك ، فلا ريب كذلك أن الفتاة ليست إلا من أفراد جماعة الليلة الماضية .. ومن ثم بدا له سبب الحيرة التي تملكته ، جليا واضحا .. فقد كانت تتوقع أن ترى أمامها " عاملا غيبيا " ولكنها وجدته هو ..

وهو يعلم تماما انها لم ترتب في عدم رؤيته لها وهي تدس المخدر .. فمن المحتم والامر كذلك أن تظل على هذا الجهل .. وفي الوسع تدبير أمر الشاي في يسر وسهولة .. وماهي إلا أن سقطت السكين من يده وهو يقطع الخبز ، وانحنى ليلتقطها ، حتى صدم مرفقه قذح الشاي فاراقه على المائدة وعلى سراويله .. فنهض قائلا في اعتذار :

- يا لي من احمق .. ولكن ياإلهي .. إن الشاي شديد الحرارة .. واستأنذنا أن يذهب لاستبدال ثيابه فقالت :

- بلا ريب .. ولكن مسكين أنت .. لا ريب أن الشاي قد أحرق جلدك .. وكانت اساريها تنطق بالعطف والشفقة لما أصابه .. فلم تختلج عيناها اسفا على فشل خطتها .. وكان " لوبين " يفكر في اثناء استبدال ثيابه فيما عسى أن تكون خطواتها التالية .. ولا ريب انها كانت تريد من تخديره أن تقوم بتفتيش الكوخ بحثا عن تلك الرسالة التي بلغ من أهميتها أنهم يلجئون إلى مثل هذه الأساليب في محاولة العثور عليها ..

وماكاد يعود ويجلس قبالتها حتى سمع بوي العجلات في الطريق وإن هي إلا لحظة حتى كانت مسز " أسكيل " تقف بالباب فاغرة فاهها وهي تتأمل الزجاج المحطم .. فصاح بها " لوبين " مرحا : إنه أحد السكارى يااماه .. وقد اقتضيته جنيهين ثمننا للزجاج .. وهذه سيدة جميلة أصاب سيارتها العطب أمام الكوخ فدعوتها لتشاطرنى طعام

الفتور .

فنظرت إليها العجوز في ريبة .. فهي تعرف " لوبين " حق المعرفة ،
وتعرف أن وجود فتاة جميلة معه مما يريب حقا .

وكان " لوبين " قد عجز عن إصلاح السيارة بعد محاولة طويلة ..
فطلب إلى العامل أن يفحصها وصحبه إليها ، فما كاد الرجل يمضي
في فحصها قليلا حتى تبدت الدهشة في وجهه ونظر إلى " لوبين "
قائلا : اتقول ياسيدي إنها كانت تسير جيدا ثم تعطلت فجأة ..
- هذا ماتقوله السيدة .

- ولكن ذلك أعجب شيء رأيت .. ولا ادري بحق الشيطان كيف يمكن
أن يحدث .. اترى هذا الشيء الذي أمسكه بين أصابعي .. إنه مجمع
الأسلاك التي تتمم الدورة الكهربائية ، وما لم يكن نظيفا جافا فلا
يأتى للسيارة أن تتحرك أصبعا واحدا .. وهأنذا تراه غارقا في
الزيت فكيف أتاه الزيت بالله عليك..؟

- ربما كانت إحدى الأنابيب قد رشحت ..

- محال أن يحدث ذلك في هذا الموضع ، إذ لا توجد انبوبة للزيت
بالقرب منه.. فإذا كانت السيارة قد سارت جيدا - كما تقول السيدة -
فلا ريب أن الأسلاك كانت جافة نظيفة .. فكيف أتاها الزيت إذن .. لأبد
أنه لم يات من تلقاء نفسه ..

- اصغ إلي ، وسوف اجزل لك العطاء .. قل : إنك لم تعرف سبب
العطب ..

واستطرد يصيح بالفتاة وهي تدنو : إن الخبير قد فشل في فحصه
حتى الآن..

- رياه .. وماذا عساي أن أفعل الآن .. لأريب أن خالي المسكين سوف
يقلق كثيرا ..

فضحك " لوبين " وقال : لن يحدث ذلك وأنا هنا ماقولك في أن
تصحبيني في سيارتي فنذهب إلى قصر خالك وأنا في طريقي إلى
"لندن" ..

فنتظرت إليه الفتاة في ريبة ، على حين قطب الميكانيكي حاجبيه بعد
أن خيل إليه أنه قد فهم سر هذه اللعبة .
ثم غمغمت :

- لم أكن أود أن أسبب لك هذا العناء ، فإن المنزل بعيد عن طريقك ..
- لا عليك ، فما زال الوقت مبكرا .. ولكن إلى أين يذهب الرجل
بسيارتك بعد إصلاحها ؟ .. إلي منزل خالك ..
فترددت لحظة ، وقالت :

لعل الأفضل أن يأخذها إلى جراج " كانابى " في " كمبردج " هل
تعرفه .. ؟

- أجل أيتها الأنسة ..

فلمس العامل قبعته وهو يومئ موافقا .. ثم ظل يرقب الاثنين وهما
يعودان إلى الكوخ ، دون أن يفارقه ذلك القطوب خصوصا عندما عاد
"لوبين" وحده ومنحه جنيها وهو يأمره بأن يأخذ السيارة إلى الجراج
دون أن يقول لأحد شيئا عن سبب العطب .. ولكن الذي زاد في حيرة
الرجل إنما كان معنى تلك البرقية التي كلفه بإرسالها إذا لم يقابله في
الجراج حتى الظهر والتي كان نصفها : " داريل ، نادي سنيور
الرياضي ، لندن .. البهو، العنكبوت ، " كمبردج .. أرلو.. "

كان "لوبيين" شديد الابتهاج من صحبة الفتاة ، لا لحسنها الرائع وفتنتها الجارفة فحسب ، ولكن لما تتيحه له رفقتها من التغلغل إلى أعماق السر الذي يشغله .. وكان يعجب أشد العجب مما يدعو مثل مس " فينابلز " - كما عرف اسمها - إلى الاندماج في عصابة السيد "إميل" وأعوانه .. وكان يفكر في ذلك في الفترة التي قضها في السيارة بمفرده في إحدى القرى عندما سألته الفتاة أن يقف ريثما تتصل بخالها تليفونيا لتنبيهه بتأخيرها ، بينما الواقع أنها كانت تريد تحذيره... وكان من الجلي أيضا أنها وضعت الزيت في محرك السيارة لتعطلها عندما افتعلت الإغماء ومضى ليحضر لها كوب الماء.. وقد فعلت ذلك عندما تبينت فداحة الخطا الذي وقع فيه " إميل " وشركاه عندما حسبوه عاملا ريفيا غبيا ، فكان هذا العمل من جانبها ليليا على حدة نكائها وسرعة خاطرها .. ولم يكن غرضها من كل ذلك إلا وضع المخدر في شرابه ثم تفتيش الكوخ .. ولكنه لم يتبين جليا

سبب رغبتها في أن تقابل خالها ومن جديد راح يعجب أن كان هذا الحديث التليفوني الذي طال مداه لا يرمي إلا إلى إعداد استقبال حافل له ، من طراز لقاء المسيو "إميل" له ..

وكان مبتهجا إذ لم تعرف الفتاة أنه خدعها .. ومامن ريب انها كانت ترتاب فيه ، لمجرد ادعائه ليلة الامس انه من العمال ، ولكنبه في الحديث عن النافذة المحطمة .

وعادت بعد هنيهة فاعتذرت له عن غيابها طويلا ، بأن خالها في ضيق شديد..

ثم اضافت :

- لست أحب أن اضايقك كثيراً يامستر "ارلو" .. ولكن هل لك أن تاخذني إلى قرية "نوروتش" .. سوف أبحث عن شيء هناك ولن أعوقك أكثر من دقيقة..

وكان "لويين" قد انتحل امامها اسما مستعارا ليس سوى المقطعين الاولين من اسمه الحقيقي .. فاجاب :

- بلا ريب ياعزيزتي .. فلست في عجلة من امري ، ولايزال اليوم في اوله..

ورمقها بركن عينيه فوجدها تجلس محدقة النظر إلى الامام وقد بنت في اساريرها علامات التفكير العميق .. وظلت كذلك دون أن يتبادلا كلمة واحدة حتى بلغا "نوروتش" حيث قالت عندما وقفت بهما السيارة بجوار الكنيسة:

- هل لك أن تنتظرني هنا .. سوف لا اغيب كثيرا ..

وكان من السخف أن يتبعها ويقتفي اثرها في وضح النهار وفي بلدة صغيرة كهذه ، فإنه لايريد أن يلير في نفسها الشكوك من ناحيته.. ولكنه كان يعجب مما دعاها إلى تغيير خط سيرها على هذا النحو ..

ولم تغب الفتاة دقيقة كما زعمت ، وإنما طال غيابها حتى بلغ العشرين دقيقة.. وكان يبدو في محياها وهي قادمة نحوه ان مهمتها

لم تلق نجاحا ، إذ زاد قطوبها وشروذ ذهنها وصعدت إلى السيارة
دون أن تتفوه بكلمة واحدة ، فسألها :

- هل نذهب إلى " كمبردج " ، أم لا يزال لديك ماتفعلينه هنا ..

- كلا وشكرا .. لقد وجدت ما أردت أن أعرفه ..

- أخشى أن تكون النتيجة غير مرضية ..

- إنها كذلك حقا ، ولست أدري كيف أبلغ الأمر إلى خالي ..

فقال في هدوء ورفق :

- اصغي إلي يامس " فينابلز " .. إنني لا أريد أن أبدو متطفلا أو

ازج بنفسي فيما ليس من شائي .. ولكن الا يمكن أن أقوم باية خدمة
لك ..

ظلت هنيهة لاتحير جوابا .. ثم بدا أنها عملت فكرها إذ قالت
فجأة:

- مستر " ارلو " .. ألم تسمع قط عن جمعية المفتاح الفضي ..

- إنها المرة الأولى .. ولكن الاسم يبدو لي رقيقا ..

- إن هذه الرقة لاتعدو الاسم فقط .. ولكنها اشد الجمعيات السرية
خطرا في أوروبا هذه الايام ..

- من يعيش ير .. ولكن ما علاقة هؤلاء الناس بحياتك الشابة ..

- لاشيء يختص بي ، ولكن بخالي ..

- اهو اجنبي ..

- يا لله .. إنه إنجليزي مثلك ومثلي ..

وران عليهما الصمت بعد ذلك حيث كان " لوبين " يفكر فيما سمعه ..
وبدا له انه إذا أراد المزيد من المعلومات فعليه بعد هذه البداية أن
يشير إلى زواره الليليين ، فقال :

- من العجب أن نتحدث عن الأجانب بعد أن تلقيت زيارة اثنين منهم
في الليلة الماضية .. كانا من الألمان .. فصاحت في دهشة مفتعلة جعلت
" لوبين " يعجب برقة تمثيلها :

- ماذا ؟ أنت .. ترى ما الذي كانا يبغيانه منك ..

- لعمرى لست أندري يامس " فينابلز " .. فقد كانا يتحدثان طويلا
دون أن أفقه مايريدان .. كما أن أحدهما ويدعى " إميل " ..
- " إميل " .. ترى هل يضع في إصبعه خاتما ذا ماسة زرقاء ؟
- إنه الوغد نفسه .. هل تعرفينه ؟

فتمهلت الفتاة قبل أن تجيب :

- مستر " أرلو " .. إنه أحد زعماء جمعية المفتاح الفضي ..
- اهو كذلك حقا ؟ . لقد اعتقد بالامس أنني مزارع ساذج ، فتركته
يعتقد مايشاء .. وكان وصوله بعد زمن وجيز من مرور ذلك السكير
الذي قلت لك : إنه قذف نافذتي بالحجر .. ومن عجب أن السيد " إميل "
كان شديد الاهتمام بهذا الحادث وبالحجر ذاته .
ولماذا هذا الاهتمام البالغ ؟

- إن لبعض الناس هوايات غريبة يامس " فينابلز " .. وهذا الرجل
كان شديد الضيق والانفعال وراح يلوح أمامي بمدفع صغير .. وفي
راي أن الذي أثار انفعاله هي تلك البقعة من الدماء التي كانت أمام
الباب ..

فاجفلت الفتاة وقالت : بقعة من الدماء .. ولكن هل أصيب أحد ؟
- هذا مما لا ريب فيه ، فإن الدماء لاتنبت وحدها في الأرض
كالعشب ..

فقالت الفتاة بعد لحظة : لقد فهمت ..

- يسرني ذلك ، لأنني في الواقع لم أفهم شيئا .. فهل لك أن تزيدي
الأمر وضوحا .. ؟

فتردت الفتاة ثانية ، وظلت صامتا لحظة طويلة ، قبل أن تجيب :
- هل تعلم من الذي ذهبت لأراه في " نوروتش " .. إنه الرجل الذي
سالت دماؤه في الطريق .. الرجل الذي كانوا يطاردونه ..
- وهل رأيته ؟ .

- لا .. فقد أخبرتني مديرة منزله أن رجلين من الأجانب حضرا
لزيارته في ساعة متاخرة من الليل فصحبهما إلى الخارج ولم يعد ..

ولاريب انه فر منهما خلال الطريق في الضباب وعندئذ حضرا إليك للبحث عنه .. رياه .. إن ذلك سوف يحطم خالي "جون" تماما ..

فحدق "لويين" النظر إليها وقال : ولماذا يصيب ذلك خالك "جون" ..

- لانه ابنه .. فهذا الرجل هو "هارولد" ابن خالي ..

فصفر "لويين" بشفتيه ، ثم قال في دهشة :

- ولماذا بحق السماء يطارد السيد "إميل" ، وعصابته "هارولد" ..

هذا..؟

- مستر "ارلو" .. إنني سوف أوليك ثقتي فاشرح لك الأمر

بحدافيره.. ولا أعلم إن كنت مصيبة في ذلك أم مخطئة ، ولكن هذا الأمر

قد ضعضع اعصابي.. ومادامت الظروف قد زجت بك في هذه الحوائث

في مصادفة عجيبة، فلتكن على علم بحقيقة الأمر .. فقد ذهب "هارولد"

منذ ثلاثة أعوام إلى ألمانيا ..

- لحظة واحدة يامس "فينابلز" .. أي نوع من الرجال "هارولد"

هذا..

- هو شاب رقيق المعشر ، ولكنه ضعيف الإرادة ، فقد نشأ مدللاً إذ

ماتت أمه عند ولادته ، فافسد خالي واساء تنشئته .. حسناً .. لقد

ذهب إلى ألمانيا منذ ثلاثة أعوام ، للنزهة ، إذ إنه يجيد كثيراً من

اللغات .. وهناك اتصل بطريقة أو بأخرى بذلك الشيطان "إميل"

وجمعية المفتاح الفضي .. وليس بعجيب أن يحدث ذلك ، إذ إن

للجمعية فروعا في جميع الاقطار الأوروبية وفي إنجلترا نفسها .. ،

وكان ينظر إلى الأمر في مبدئه كمجرد ملهاة يتسلى بها ، ولكنه عندما

تبين خطر هذه الجمعية، كان قد فات أولان النكوص .. ولم أكن أعرف

شيئاً عن هذا الأمر ، كما لم يعلم به خالي ، إذ لم نتبينه إلا مؤخراً

عندما رأيت كثير الوجوم على غير عادته .. وأخيراً استطعت أن انتزع

السِر منه ، فإذا بالجمعية تشدد الضغط عليه ليمدها ببعض

المعلومات السرية الخطيرة.. وقد نسيت أن أخبرك أن "هارولد" يعمل

في وزارة الخارجية، ولذلك تتاح له الفرصة كثيراً لمعرفة بعض الأسرار

المهمة والاطلاع على الوثائق السرية .. وكنت مع خالي منذ اسبوعين عندما حضر " هارولد " في حالة يرثى لها .. كان شديد الثمل على غير مألوفه .. واستطعنا بشق النفس ان نعلم منه ان هؤلاء الاوغاد بعد ان كانوا يهدونه بالخطابات من " المانيا " ، قد حضروا إلى "إنجلترا " وراحوا يهدونه شخصيا ، إذ كانوا يريدون صورة من وثيقة شديدة الخطورة..

- ولماذا لم يذهب إلى البوليس ؟ .

- هذا ماقاله له خالي ، وعندئذ علمنا الحقيقة المروعة .. علمنا ان "هارولد" قد انزلق إلى هوة الخيانة ، وامن هذه الجمعية ببعض المعلومات التي أوّمن عليها .. ولديهم رسائل منه تثبت عليه الجريمة، يكفي ان يبرزوها حتى يقضوا عليه وكان الاوغاد يعرفون ذلك فاستخدموا هذا السلاح في سبيل إرغامه على الإقضاء إليهم بمعلومات أخرى ذات أهمية حيوية يعد إفشاؤها خيانة وطنية عظمى.. ومن ثم شعر " هارولد " بخطورة موقفه ، فإذا امتنع عن طاعتهم كان معنى ذلك الموت ، وإذا انساق إلى تنفيذ رغباتهم كان ذلك العار كله ، ولذلك سلك الطريق الوحيد المفتوح امامه . وهو الفرار من وجوههم ، فحصل على إجازة طويلة وغادر منزل أبيه ومضى يختفي في " نوروتش " .. ولكنهم عثروا عليه هناك ..

- وكيف عرفت بما حدث ليلة امس يامس " فينابلز " .. ؟

- لقد اخبرني خالي به عندما اتصلت به تليفونيا ، فإن مديرة منزل "هارولد" تحدثت إليه في الصباح واخبرته بان " هارولد " غادر المنزل مع اثنين من الاجانب ولم يعد .. وانت تعرف البقية ..

وكانت الفتاة تتنهد وهي تفرك منديلها في عصبية بين كفيها ، ومالبث "لوبيين" ان غمغم :

- إنني أسف لما اصابكما ايّتها الانسة ، وارجو ان تنكشف هذه الغمة قريباً..

- لقد كان ينبغي ان اكتم الامر .. ولكنني توسمت فيك مايجعل المرء

يثق بك ويانس إليك ..

- شكرا لهذا الشعور الرقيق .. ولكن الذي لا افهمه بعد هو ما الذي حدا بابن خالك " هارولد " إلى قذف نافذتي بالحجر .. ؟
- لقد فكرت في ذلك يامستر " ارلو " .. فهلا ترى من المحتمل أن تكون هناك رسالة ما لف بها قطعة الحجر على أمل أن تصل إليك ..
- يا إلهي .. إنها فكرة رائعة يامس " فينابلز " .. الآن فهمت لماذا كان مستر " إميل " بالغ الاهتمام بما في جيوبي .. ومع ذلك فلم تخطر لي هذه الفكرة ببال..

واختلس إليها النظر ، فوجد جبينها شديد القلوب .. ؟
ومرة أخرى ازداد إعجابه ببراعة تمثيلها .. بيد أنه لم يعرف مبلغ قصة "هارولد " هذه من الصدق .. ولولا أنه راها بعينه وهي تنس له المخدر ، ولولا أن عامل السيارات أخبره بسبب العطب الذي أصاب سيارتها لكان من المحتمل أن يصدق كل حرف من هذه القصة ، ولو أنه صدقها لما كان هناك مايدعو إلى إخفاء أمر الرسالة عنها ..
واشتدت رغبته في استجلاء هذا السر المستغل ، كما اشتدت لهفته إلى لقاء الخال العزيز " جون " .. وهذه الفتاة إنجليزية صميمة : فهل خالها كذلك .. بل هل هو خالها على الإطلاق .. وما حقيقة الصلة بينها وبين ذلك الرجل المسمى "إميل " ؟ . وكان يعلم أنهم أصابوا الحبس في وجود رسالة حول قطعة الحجر، ولكنهم يتخبطون في الظلمات بعد ذلك .. فهم لايعلمون إن كان قد وجد الرسالة أو لا .. وهم في سبيل معرفة ذلك لايتريدون البتة في انتهاج كل الوسائل مهما بلغت من العنف..

واخيرا استطرد قائلا :

- ولكنني لم أر اثرا لأية ورقة في الحجر .. ومن المحقق أن الحجر لم يكن ملفوفا بشيء .. غير أنه من المحتمل أن تكون قد سقطت في الحديقة، إلا إذا كانت الريح قد حملتها بعيدا .. ولماذا بالله لم تفكري في الأمر قبل ذلك يامس " فينابلز " .. فلعلنا كنا نجدها لو بحثنا

عنها.. ولكن ماذا يمكن أن يكتبه ابن خالك في هذه الرسالة مما قد يفيد في شيء ..

فاخلت الفتاة إلى التفكير هنيهة ثم قالت :

- لعله عرف المكان الذي يقودونه إليه يامستر " ارلو " فكتب اسمه وقذف به على أول نافذة مضيئة لقيها لمجرد الاستغاثة وطلب النجدة.. فنظر إليها " لوبين " في إعجاب ، وهتف :

- لعمرى إن العمل معك لن يذ يامس " فينابلز " .. فهذه فكرة أيضا لم تخطر لي على بال قط ..

- ولكننا إذا أربنا أن ننقذه فينبغي أن نعرف المكان الذي اقتناهوه إليه في أسرع وقت مستطاع .. لأن خالي لا يريد إبلاغ الأمر لرجال البوليس .

- ما رايك في أن نرسل برقية إلى مسز " اسكنديل " لتبحث عن قصاصة من الورق في الحديقة وتبرق بمحتوياتها - إن وجدت - إلينا ..

- سوف نقف عند أول مكتب للبريد ونبعث إليها بهذه البرقية .. ولكن أين ترين أن ترسل الإجابة .. الأفضل أن ترسلها إلى خالك ، فما عنوانه؟

- إن قصره يدعى (هارتلي كورت) ويكفي أن تذكر اسم المكان لتصل إليه.. - وما اسم خالك ؟ .

- مستر " مريديت " ..

- حسنا .. سوف لا تتأخر مسز " اسكنديل " عن الرد ، فهي رقيقة الشعور جدا ..

وغادر " لوبين " السيارة عند أول مكتب للبريد حيث راح يكتب برقية طويلة قدمها للموظف وأجزل له العطاء وأوصاه بكتمان ماجاء بها .. ثم عاد ليخبر مس " فينابلز " بإتمام مهمته وما لبثا أن رجعت بهما السيارة حثيثا في طريقها إلى " كمبردج " .

ولو حدس " لوبين " كل شيء في تلك اللحظة لما حدس قط أنه كان

يعقد وقتئذ مجلس حربي في قصر (هارتلي كورت) حيث يقيم الخال "جون" .

ففي إحدى حجرات الطابق الأعلى كان رجل اشيب الشعر في نحو الخامسة والخمسين من العمر ، يجلس إلى مائدة عريضة ، وامامه ذلك الالماني "إميل" ، الذي كان يقول في خشونة :

- إنني لا أفهم شيئا البتة ، فهل قلت : إن ذلك العامل الريفي قادم بسيارته الآن مع "دوريس" ..

- وهل تظن عاملا ريفيا يملك سيارة من طراز " رولس رويس " .. لقد استطاع أن يدخل عليك الغفلة يا صاحبي ، فهو سيد يدعى مستر "ارلو" .. أما لماذا فعل ذلك فهذا مالا أفهمه .

- وماذا كان يفعل في الكوخ ؟

- لقد ذهب إليه لصيد البط .. ولكن لماذا ادعى أنه عامل ريفي .. إنني أخشى أن يكون (صاحبنا) الآخر على صلة به وكان يعرف إلى أين تأخذانه ..

- لقد كان الضباب كثيفا يا " مريديت " ، ثم إنه كان بين الحياة والموت .

- ولكن لابد أن هناك رسالة ماكانت حول الحجر .. فما كان يحطم نوافذ الناس لمجرد التسلية ..

- حسنا .. إننا لم نجد شيئا .. كذلك فهمت منك إن " دوريس " لم تنجح في ذلك أيضا .. ولاتنس يا " مريديت " أن كل مايهمنا من امر هذه الرسالة هو الا يعثر عليها احد البتة ، وإلا كنا في خطر ..

- إنني ماكنت أبالي بالأمر لو كان هذا عاملا ريفيا حقيقة ، أما وهو من هو فقد تغير وجه الأمر ..

فقال الالماني في هبوء : لقد فتننا الكوخ جيدا فلم نجد شيئا .. والآن اصغ إلي يا " مريديت " .. ينبغي أن تكون أكثر هدوءا ورباطة جاش .. وإذا كان المستر "ارلو" هذا واحدا منهم فلماذا لم يذهب صاحبه إلى الكوخ مباشرة ؟ ، أو لماذا لم يصرخ مستنجدا ؟ . كلا

ياعزيزي .. إنك تقلق نفسك بغير داع ..

- ربما كنت على حق .. فلننتظر حتى تحضر " دوريس " ..

- هذا يذكّرني بشيء كنت أريد أن أسالك عنه .. فماذا نحن صانعون بهذه الفتاة عندما تفرغ من مهمتها ..

- ماسنفعه بالآخرين ..

- لقد لاحظت أخيرا أنها غدت أشد فضولا ، وتحاول بشتى الوسائل أن تعرف ما لا يعرفه إلا أعضاء المجلس الأعلى فقط .. وعلى الأخص فيما يتعلق بموضوع المركز الرئيسي لنا ..

- إنه فضول النساء لا أكثر ولا أقل ..

- ربما كنت على حق .. ومهما يكن من أمر فهذه هي ذي قد حضرت ، ولا بد لي من الاختفاء وعدم ظهوري أمام هذا الرجل ..

وراحا يرقبان السيارة من النافذة وهي تستقر أمام باب القصر ، حيث هبطت منها الفتاة ، وسرعان ما كانت تلج الحجرة حيث قابلها الرجلان في لهفة وتساؤل .. فقالت في هدوء : لقد تحققت أنه لم يجد رسالة ما .. ولكن الذي لا أفهمه هو كيف وقعت في هذا الخطأ المزري يا " هرفايت " .. لقد كنت ارتبك هذا الصباح عندما رأيته ، واضطرت إلى تعديل خطتي بأكملها على الفور ..

فقال " مريديت " : هل كان من الحكمة أن تحضره إلى هنا ؟

- كان ذلك لازما ، فقد حاولت أولا أن أدس له المخدر ولكني فشلت .. ثم رحت أبحث في الحديقة دون أن أجد شيئا .. ولذلك كان ينبغي أن أدير خطة جديدة لمعرفة مآله .. والآن اصغ إلي يامستر " مريديت " ، يجب أن تهبط لمقابلته .. فانت خالي ، والأمر كله يتعلق بابنك " هارولد " الموظف بوزارة الخارجية ، الذي اختطفته جمعية المفتاح الفضي .. فاجفل " إميل " وصاح : يا للسماء .. هل أخبرته بذلك أيضا ؟

- بلا شك .. ولكنك لاتستطيع أن تفهم لغباؤك أن هذا الرجل ليس مزارعا كما ظننت .. فهو رجل مثقف ولن يسكت على ماحدث في الليلة الماضية إلا إذا فعلنا شيئا يسكته ، وما ذلك الشيء إلا أن نثير عطفه

وشفقتة .وهذا مافعلته .. وهاك ما فعلته ..

ثم راحت تقص عليهما ماحدث في الصباح .. ومآقالته لـ " لوبين " ..
فلما فرغت من قصتها قال " مريدت " :

- لعمرى ياعزيزتي ماكان يمكن أن تفعلنى خيرا من ذلك ..
واستطردت الفتاة : فإذا لم يصل الرد على برقيته فمعنى ذلك أنه
حتى لو كانت هناك رسالة ما فلا ريب أنها قد فقدت إلى الأبد ..
وتمهلت لحظة قبل أن تردف في نبرات جامدة :

- أما إذا كانت هناك رسالة ما ، فمن حق المستر " أرلو " أن نقدم له
كاسا من الشراب .. وستتوقف طبيعة هذا الشراب على مافى الرسالة..
فابتسم " إميل " ، وربت " مريدت " كتف الفتاة مشجعا ،
فاستطردت:

- والآن هيا بنا أيها الخال العزيز حتى لايدش الرجل من غيبتنا ..
ولا تنس أنك محطم القواد لما أصاب ابنك الوحيد .. وبهذه المناسبة كم
تظن ياهرفايت أن يطول الأمر ..

- ثلاثة أيام او أربعة .. ولن تزيد على اسبوع بحال من الأحوال ..
فقد انهارت قواه كما علمت هذا الصباح ..

ووجدا " لوبين " يتظاهر بالنعاس فوق عجلة القيادة ، فراح
"مريدت" يشكر له في نبرات حزينة مافعله من أجل " دوريس "
الصغيرة.. ثم استطرد يسأله إن كان له أن يطمع في المزيد من كرمه
فيقبل الانتظار حتى يصل رد برقيته .. فأسرع يعرب عن قبوله ذلك عن
طيب خاطر ..

ولم تمض دقائق حتى صاح " لوبين " :
- يا لله .. لقد جاءت البرقية بأسرع مما قدرت .. فهذا هو ذا الموزع
يدنو بدراجته من القصر ..

فاسرعت " دوريس " لاستلام البرقية .. وفضها وعانت إليهما وعلى
وجهها علامات الحيرة الشديدة ، فصاح " مريدت " :

- حسنا ياعزيزتي .. ماذا بها ؟ ..

- إنها من مسز " اسكديل " تماما .. ولكن يخیل إلى أنها لیست بذات معنى .. فهي تقول إنها وجدت ورقة فی الحقیقة كتب علیها سز .. وبضعة حروف أخرى قد تبلغ العشرة .. ویلی ذلك توقیعها .. وكان " لوبین " یففرس فیهما فأبرك أن حیرة الفتاة ودهشتها غیر مفتعلة .. ولكنها مالبثت أن صاحت فی جنل :

- لقد فهمتها ایها الخال العزیز .. فإنها مكتوبة بالشفرة التي كان "هارولد" یستعملها معي عندما كنا أطفالا .. وهي لیدی فی حجرتي .. وانفلتت إلى حجرتها .. فاشعل " لوبین " لفافة راح یدخلها فی تلذذ ومرح .. وما لبثت الفتاة أن عابت هاتفة :

- لقد وجدتھا .. فهذه الحروف تدل علی اسم موضع معین .. لله ما أبرع "هارولد" ..

فقال " لوبین " فی اهتمام : ما اسم هذا الموضع یامس " فینابلز " ؟ - " كسنجلاند " .. وأظننی سمعت عن بلدة بهذا الاسم .

- أجل .. وهي تبعد بضعة أمیال عن "لوستوفت" علی الساحل .. فهل تعتقدین أن معنى هذه الحروف أن ابن خالك قد اقتتید إلى هذه البلدة؟..

- وماذا یمكن أن تعنی غیر ذلك یامستر " ارلو " ؟ ..

لاریب أن هناك بعض الاكشاك البحرية المهجورة وقد سجن فی احدها ..

فغمغم " مریدیت " وهو یمر بیده علی جبینہ : یابنی المسکین ماذا افعل الآن؟..

فتظاهر " لوبین " بالتفكير لحظة ، ثم قال :

- الا یمكن أن أفیدك فی شيء یامستر " مریدیت " ..؟إننی لا أعرف ابنك ولكن فی وسعی أن انهب إلى " كسنجلاند " للتحري عن مصیره .. ولاتنس أن ظهور أي اجنبی فی تلك البلدة یكون ملحوظا من سكانها .. فصاحت الفتاة : ولكن یامستر " ارلو " .. إننا لا یمكن أن نكبك هذا العناء .. ثم إنك مدعو إلى العشاء فی " لندن " اللیلة و ...

فقاطعها "لوبين" قائلا في احتجاج :

- لاتقول لي ذلك أيتها الأنسة .. وفي وسع هذا العشاء أن ينتظر يومين أو ثلاثة فإن المرء ينبغي أن يضحي بكل شيء في مثل هذه القضية في سبيل مساعدة الملهوفين .. وسوف أرحل في الحال إلى "كسنجلاند" وسأبرق لكم بنتيجة ما يصل إليه بحثي ..

فقال "مريدبت" في صوت كسير :

- إنني لا أنري كيف أشكر لك هذا الصنيع ياسيدي .. ولو كانت صحتي ..

- لا تفكر في شيء البتة يامستر "مريدبت" .. فإن مكانك هنا .. مع ابنة أختك ..

وصحبته الفتاة إلى السيارة وصافحته ، فضغط على يدها وهو يهمس :

- هل لي أن أحضر لك بنفسني الأنباء السارة ياعزيزتي ؟

- بلا ريب .. وإنه لجميل أن تجشم نفسك هذا العناء في سبيل شخصين غريبين ..

- غريبين .. كيف تقولين ذلك يا .. يا "دوريس" ؟ ..

فلما اختفت السيارة في الطريق الرئيسية تحول "مريدبت" إلى الفتاة هاتفا :

- ماهذه اللعبة بحق السماء ؟ .. وأي شفرة تتحدثين عنها ؟ ..

فاجابت الفتاة في سكونية ، وكان الألماني قد انضم إليهما :

- ألا تعرف ماجاء في هذه البرقية ؟ .. إنها وجدت ورقة في الحديقة كتب عليها "س ب ز أ ل ت ر ب ت ي . اسكديل" .. لماذا "كسنجلاند" بالذات ؟ ..

- أه .. إنك سريع النسيان يامستر "مريدبت" .. ألم أقل - "أولو" : إنه إذا كانت هناك رسالة ما فلاريب أنها تحمل اسم المكان الذي يأخذون "هارولد" إليه .. وعلى ذلك فإن أي مدينة يتركب اسمها من احد عشر حرفا تفي بالغرض. وقد كنت واثقة أنه سيتطوع بالبحث

فاخترت " كسنجلاند " لأنها لا بالقريبة ولا بالبعيدة ، وعلى الأقل
تبعده عنا يومين أو ثلاثة .

فغمغم الألماني وهو يمعن النظر في البرقية :

- يا لله يا " مريديت " .. إن الفتاة شديدة البراعة حقاً .. ولكنني
أعجب ما الذي تدل عليه هذه الحروف تماماً ..
فقالت الفتاة :

- إنني لا أشك البتة في أنها تحمل عنوان مركزم الرئيسي .
- إذا كان الأمر كذلك حقاً ياعزيزتي فقد أحسنت بإبعاد هذا الغر إلى
" كسنجلاند " !

وفي سكينه تامة راح يمزق البرقية إربا، ثم بس القصاصات في
جيبه..

كان "لوبيين" جالسا في بهو فندق "العنكبوت" ظهر ذلك اليوم عندما وافاه صديقه "بيتر داريل" فصاح به :

- مامعنى هذه الدعوة العاجلة بالله عليك .. ولماذا تركت صيد البط وعدت إلى "لندن" .. لقد حرمتني من الغداء مع صديقتي "ماريوت" ..

- لابس يا "بيتر" يابني .. فقد كنت هذا الصباح مع ملاك هبط من السماء بين ذراعي ، ملاك شديد البراعة وحدة الذكاء ..

- ادعوتني لتقول لي ذلك فقط .. من هذا الرجل ؟ .

- إنها سيدة يا "بيتر" .. بارعة الحسنة شديدة الفتنة ، ولها خال كهل .. وكانت في لهفة شديدة على أن تصلها برقية معينة . . ولكنني اراك لاتفهم شيئا ، فلنبدا من البداية ..

وراح يقص عليه ماحدث منذ منتصف الليلة الماضية .. فلما فرغ قال "داريل" :

- ولكن ماهذه الرسالة الثانية ؟ . لقد فهمت انك احرقتم الاولى التي

وجبتها في النافذة ، فما هذه الأخرى التي وجبتها مسز " اسكديل " ..
- إن مسز " اسكديل " لم تجد شيئاً البتة يا " بيتر " .. وعندهما
اخبرتك انني ابرقت إلى مسز " اسكديل " ، لم اصف إلى ذلك انني
اوحيت إلى هذه السيدة الطيبة بنص الرسالة التي تبعث بها .. وقد
كنت حائراً في اختيار هذه الرسالة حتى وقعت عينا في مكتب البريد
على صحيفة خاصة بسباق الخيل فاوحت إلي بالفكرة ، ومن ثم كانت
برقيتي إلى مسز " اسكديل " (ابرقي إلى "مريدت هارتلي" كورت "
كمبردج " بما يلي : وجدت ورقة في الحديقة كتب عليها س ب ر ا ل ف
ت ر ب ت ي . اسكديل) وهذه الحروف ليست سوى الرموز الخاصة
بالخيل ..

- وكيف بحق السماء صنعت الفتاة منها اسم بلدة " كسنجلاند " ؟ ..
لأن مس " دوريس فينابلز " كما قلت لك فتاة وافرة الدماء والفطنة
يابني ، وكانت تريد أن تتخلص مني ، وتعدني حجر عثرة في سبيلها
منذ أن شاعت الصدف أن تضعني في طريق عصابتها .. ولاريب انها
تعتقد انني صفت تلك الاقصوصة التي نكرتها لي عن " هارولد " ..
وقد كنت متشككا في امرها حتى جاءت هذه الاكذوبة الضخمة عن
الشفرة ببلدة " كسنجلاند " ، إذ إن هذه الكلمة مركبة من احد عشر
حرفا مثل حروف الرسالة المزعومة ..

- وماهي خطتك الآن ؟ ..

- سوف نذهب بعد الغداء إلى " كسنجلاند " ، حيث لانعدم أن نجد
شخصا يمكننا أن نعهد إليه ببضع برقيات ليرسلها تباعا في مواعيد
نحددها له ، وانكر فيها انني مازالت ابحت ، ثم إنني اهتديت إلى
أثر... وهكذا .. ومتى فعلنا ذلك عدنا إلى لندن في المساء .. ولعلنا لو
قمنا بتفتيش " هارتلي كورت " تفتيشا دقيقا في اثناء الليل لوصلنا
إلى شيء ذي بال .. فإني اعتقد يا "بيتر" أن الأمر أكثر من أن يكون
جريمة عادية لا أهمية لها ..

- هل تعني انها جريمة سياسية .. تختص بالجاسوسية فعلا ..

- هذا ما اعتقده يابني .. وفي رأيي أن جمعية المفتاح الفضى ذات صلة حقا بهذا السر ..

- إنني أعرف أحد رجال المخابرات ، " رونالد ستاندرش " . فما قولك في أن تدعوه إلى تناول العشاء معنا الليلة ..
- إنها فكرة موفقة ، فاذهب واتصل به الآن ..

وقد أصابا من التوفيق في " كسنجلاند " أكثر مما كانا يحلمان به ، إذ التقيا منذ وصولهما برجل يعرفه كلاهما ، من أهالي لندن ، وكان يقضي في البلدة بضعة أيام لقضاء مهمة تجارية فيها .. وسرعان ما مرضي بأن يرسل البرقيات التي كتبها له " لوبين " ووضع على كل منها الساعة التي ينبغي أن ترسل فيها ..

وفي أثناء عودتهما اقترح " لوبين " أن يعرجا على كوخ مرضعته ليخبرها أنه سوف يتغيب أياما قليلة حتى لا تقلق إذا لم يعد ..

فلما أوقف السيارة أمام الكوخ هبط منها قائلا لصديقه : إنه سوف يعود في الحال .. ثم فتح باب السياج ومضى يجتاز الحديقة وهو يهتف مناديا العجوز ، دون أن يسمع جوابا منها ودون أن يخف كلبه " جيرى " لاستقباله ..

فلما بلغ باب الكوخ ، وقف جامدا لحظة .. ثم استدار قائلا : تعال يا بيتر ..

فأسرع " داريل " ووقف بجواره فأسرك السبب الذي جعل الكلب لا يخف لاستقبال سيده .. إذ كان " جيرى " المسكين ملقى على الأرض وقد اخترقت رأسه رصاصة قاتلة ..

وكان يذرع الحجرة بنظراته . وإذا به يصيح بهشة ثم يمضي إلى المائدة ويلتقط قفازا موضوعا فوقها .. وهو يقول :

- اترى هذا القفاز يا " بيتر " .. إنه الذي كانت " دوريس فينابلز " ترتديه هذا الصباح .. ترى ما الذي حدث هنا بحق السماء ..
- لعلها عادت لتتحقق من صدق البرقية والرسالة ..
- ولكن ولماذا تقتل " جيرى " ؟ .. ثم أين مربيتي العجوز .. ؟

وعندئذ بلغ سمعهما صوت غطيط عال ينبعث من الطابق الأعلى ..
فاسرعا يرتقيان الدرج حيث وجدا به ليهشتهما مسز " اسكديل "
مستلقية في فراشها، بثيابها كاملة .

وقد راحت في سبات عميق .. وكان من الجلي ان العجوز قد اعطيت
مخدرا قويا .. فقال " لوبين " :

- ياللانذال .. سوف يكون لي معهم شان . اي شان ولكن كيف حملت
إلى ذلك الطابق .. ؟ إن الفتاة وحدها لاتستطيع ان تحمل امرأة غائبة
عن الصواب فوق هذا الدرج .. ومن الذي قتل الكلب .. ولماذا ؟ .. لقد
كانت مس " فينابلز " تلاعبه هذا الصباح في الحديقة ولايمكن ان تكون
هي التي قتلتها ..

- هل تظن انها لم تكن وحدها ..

- لاريب انهم جاعوا جميعا ليروا الرسالة باعينهم فحدث مانراه ..
وكان " لوبين " واقفا بجوار النافذة ، فضاقت عيناه فجأة وراح
يحدق النظر إلى نقطة معينة ، ثم قال :

- اترى هذه الخميطة التي على الجانب الآخر من الطريق ؟ إن شيئا
يتحرك بداخلها يا " بيتر " ، واراهاك على انه رجل مختبئ هناك .. بل
إنه رجل حقا، فقد رأيت وجهه الآن ..

وطلب " لوبين " إلى صديقه ان يظل بالحجرة ويتظاهر بالتحدث إلى
شخص آخر ، حتى لايفطن الجاسوس إلى انفراده بها ، ريثما يتسلل
لوبين من الباب الخلفي للكوخ فيباغته ويقبض عليه ..

ونجحت الخدعة ، فلم تمض بضع دقائق حتى كان " لوبين " يعود
إلى الكوخ وهو يجر الرجل من عنقه ، فقابلهما " داريل " عند الباب ،
وعجب إذ رأى الرجل غير ماكان يتوقع ان يراه ، إذ كانت أناقة ثيابه
تنم عن انه ليس من اللصوص او قطاع الطريق .. بل الاعجب من ذلك
انه كان يصخب وينذر "لوبين" بإبلاغ البوليس عن هذا الاعتداء
الشنيع ..

فاجابه " لوبين " : دعك من هذا الهراء وادخل معنا . فإننا نمثل

القانون هنا الآن .. واعلم أنه إذا سولت لك نفسك الفرار فسوف اطلق النار عليك ..

وكان غطيظ مسز " اسكديل " مسموعا في الكوخ .. فرأى " لوبين " في اسارير الرجل لمحة خاطفة من الارتياح اكتسى وجهه بعدها ذلك القناع الجامد كما كان ..

فاشار " لوبين " إلى جثة الكلب وقال : هل أنت الذي قتلته ؟

- لا .. فإنها المرة الأولى التي الج فيها باب هذا الكوخ ..

- ولماذا كنت مختبئا تراقبه .. ؟

- لأنني اعتزم شراءه .. ومازنت اطلب إيضاحا عن هذا الاعتداء ..

- سوف نقدم لك هذا الإيضاح للتو .. وسنرى إذا كنت ستظل مصرا

على هذا السخف إلى النهاية .. اه .. يالك من نذل ..

وفي مثل وميض البرق كانت يد " لوبين " قد ارتفعت ثم هوت على يد الرجل التي أخرجها من جيبه بغتة .. فسقط منها خنجر مرهف النصل .. وسرعان ما أمسك بالرجل بين يديه الفولانيتين ، وطلب إلى صديقه ان يحضر حبلا ، ثم تعاونا على شد وثاقه جيدا على أحد المقاعد .. وأخرج " لوبين " منديله فكمم به الرجل الذي كان ينظر إليه مشدوها وقد لاح القلق والجزع في عينيه ..

فاخرج " لوبين " بعد ذلك من جيبه اسطوانة قصيرة من المطاط وهو يقول :

- سوف تطلق هذه العصا السحرية لسانك يا صديقي متى ذقت طعامها على فخذيك وما عليك إلا ان تشير لي بالكف عندما تنوي ان تتكلم ..

وكانت عينا الرجل تدوران في محجريهما في الم وذهول كلما هوت قطعة المطاط على جسمه ، وأخيرا اثار براسه في قوة ، فتوقف " لوبين " وأشار إلى " داريل " أن ينزع الكمامة عن فمه قائلا : هل عولت على الكلام أخيرا ؟.. حسنا ولكني انذرك بانك إذا كذبت علينا فسوف أنيقك مالا تنساه في حياتك قط ..

فغمغم الرجل في فزع : ما الذي تريد أن تعرفه ؟ ..
- ما الذي حدث بعد ظهر اليوم ؟ .. وماذا كانت مس " فينابلز " تفعل
هنا .. ومن الذي خسر العجوز .. ومن الذي قتل الكلب ؟ ..
- إنني لا أعرف ماذا حدث هنا .. وقد كانت هنا إحدى الفتيات ،
ويحتمل أن يكون اسمها " فينابلز " ، أما سبب حضورها فلا أعرف
عنه شيئا .. ولكن اثنين منا تلقيا امرأ بان ..
- ومن الذي أصدر إليكما هذا الأمر ؟ ..
فتردد الرجل لحظة ثم قال :
- هل تدعني أذهب إذا ما أخبرتك بكل ما أعرفه ؟ ..
- سوف ننظر في ذلك فيما بعد .. من الذي أصدر لكما هذه
الأوامر ؟ ..

- إننا لا نعرف اسمه .. كما أنني شخصيا لم أره قط .. وقد اعتاد
أن يصدر لنا أوامره تليفونيا .. وفي هذه المرة أمرنا بان نذهب إلى
فندق في " كمبردج " وننتظر تعليمات جديدة منه .. وهناك انضم إلينا
رجل لم أره من قبل واحضرنا بالسيارة إلى هنا .. وكانت سيارة
الفتاة تقف أمام الباب ، فمضى الرجل إلى الكوخ حيث كانت الفتاة
جالسة تتحدث مع العجوز ، فما كانت تراه حتى شحب وجهها
وتعلقت بذراع العجوز كأنما تستنجد بها .. وفي تلك اللحظة زمجر
الكلب فاطلق عليه الرجل رصاصة صرخته .. وحاولت الفتاة الهرب
ولكننا قبضنا عليها بجوار السياج وأعدناها إلى هنا حيث حقنها
الرجل في ذراعها بمادة مخدرة كما فعل بالعجوز .. وعندئذ أمرنا بان
نحمل العجوز إلى فراشها والفتاة إلى سيارته .. وبعد ذلك مضى
لشأنه بعد أن أمر زميلي بان يقود سيارة الفتاة إلى " كمبردج " ، كما
أمرني بان أكنم في الطريق لأراقب الكوخ .
وهذا كل ما أعرفه ..

فاشعل " لوبين " لفافة تبغ ، ونظر إلى " داريل " قائلا :
- مارايك في أكاذيب هذا الوغد يا " بيتر " ؟ ..

- ربما كان صادقاً .. ولكن هل من عادتك يا صديقي أن تطيع أوامر زعيم لم تره قط .. إذا كان فيها ارتكاب جرائم من هذا القبيل .. ؟
- إنني شخصياً لم ارتكب شيئاً ..
- هل هناك كثير من زملائك في هذه العصاة ؟
اجل ..

فقال "لوبيين" فجأة : أهى جمعية "المفتاح الفضي" ؟
فحدق الرجل إليه في دهشة ، وقال : إنني لا أعرف ماذا تعني ؟ ..
إنه بارع في التظاهر بالدهشة يا "بيتر" .. إلا إذا كانت قصة المفتاح الفضي من ابتكار مس "فينابلز" الحسناء .. وإلا كان هناك عصابتان مختلفتان للرجل واستأنف استجوابه :

- هل يمكنك أن تصف لي الرجل الذي حضرتما معه إلى هنا ..
- إنه متوسط الطول ، أسود العينين ، ذو وجه مكتنز .
- إنها صفات تتفق مع زائري ليلة الأمس يا "بيتر" .. والآن ماذا ترى أن نصنع بهذا الوغد .. ؟
فصاح الأسير في قلق :

- بالله عليكم أيها السيدان لاتسلماني إلى البوليس .لاخوفا من السجن.. ولكن لو أذيع أنني بحت لكما بما قلت لغبت حياتي لاتساوي قلامة ظفر ..

- حسناً .. سوف ننظر فيما نفعله بك بعد أن نتحقق من أن مسز "أسكديل" على مايرام .. تعال معي إلى فوق يا "بيتر" ..
فلما انفردا في حجرة العجوز ، استطرد "لوبيين" قائلاً :

- إنني أميل إلى تصديق الرجل يا "بيتر" ، فليس في وسعه أن يخترع هذه القصة عفو الخاطر .. ولكني لا أفهم سبب قدوم الفتاة إلى هنا .. إذ لم يكن ثمة مايدعوها إلى التحقق من أمر الرسالة ..

- سوف نعرف ذلك عندما تفيق مسز "أسكديل" من اثر المخدر ..
ولاريب أن سباتها سوف يطول ، وماعليك إلا أن تكتب لها ورقة باننا سنعود في الصباح وعليها الا تقول لأي شخص حتى نقابلها ..

-إن قلبها على مايرام .. ولا أظنها في خطر ما ..
وأخرج "لوبين" مفكرة من جيبه راح يخط فيها بعض الكلمات ،
بينما ذهب "داريل" إلى النافذة ومالبث أن صاح :
- أه .. يبدو أن هذا العملاق في عجلة .. انظريا "لوبين" ..
فانضم إليه "لوبين" .. وإذا به يرى رجلا فارح الطول إلى حد غريب
مرتديا حلة سوداء .. يسير في الطريق من ناحية الكوخ إلى اليسار ..
ومالبثا أن سمعا دوي محرك سيارة .. فقال "لوبين" :
- لقد كثرت السيارات هنا حتى لينبغي أن يضعوا بعض رجال
المرور لتنظيم حركتها .. حسنا يا "بيتر" .. سوف نحمل أسيرنا معا
ونلقي به في الطريق ، ففي رأيي أنه لايعرف أكثر مما قاله .. وعليك
الآن أن ترغمه على حفر قبر في الحديقة لكليبي العزيز .. ريثما أدثر
مربيتي العجوز ببعض الاغطية ..
وبينما كان يقوم بهذا العمل سمع "داريل" يصيح في صوت حاد :
- "لوبين" .. تعال سريعا بحق السماء ..
فاندفع نحو الدرج .. ثم إلى البهو .. وعندئذ رأى الأسير منكفئا في
مقعده بحيث لايمنعه عن السقوط إلا الحبل الموثق به .. بينما غاص
في قلبه خنجر طويل حتى المقبض ..

- ٤ -

كانت الدهشة التي انتابت "لويين" من القوة بحيث عقلت لسانه عن الكلام لحظة .. فإن مصرع هذا الرجل لم يكن متوقعا بحال من الأحوال.. كما انه وصديقه لم يسمعا أية حركة في الطابق الأسفل عندما كانا مع العجوز بالحجرة العليا .. وقال "لويين" :

- إنه ذلك العملاق الذي رأيناه مسرعا في الطريق منذ برهة .. ولا بد انه طعنه من الخلف وإلا لاستغاث المنكود .

ومضى إلى المطبخ .. إذ خطرت له فكرة مفاجئة .. فصيح حدسه حيث وجد الباب الخلفي مفتوحا وعلى عتبته آثار أقدام موحلة .. فقال لـ "داريل" :

- لا ريب انه كان يقف هنا .. وسمع كل كلمة قالها هذا الرجل .. ولا ريب أيضا انه لم يقل إلا صدقا وإلا لما قتلته العصابة .. ولكن لماذا يقتلونه الآن بعد أن أفضى إلينا بكل مايعرفه .. ؟

- لعلهم أرادوا عقابه على خيانتته ..

- ولكن الانتقام لا تكون له روعته مالم يعلم الضحية انه سوف يلقي جزاءه لا ان يقتل غيلة هكذا .. كما انهم كانوا يستطيعون الانتظار إلى فرصة أخرى بعد رحيلنا دون أن يعرضوا انفسهم لخطر المجازفة بذلك ونحن في الكوخ .

أخلد "لوبين" إلى التفكير لحظة ومالبث أن صاح :

- لقد فهمت غرضهم ياعزيزي "بيتر" .. فإنهم يريدون إرغامنا على أن نبليغ الأمر إلى رجال البوليس .. ؟

- ولماذا يريدون ذلك بحق السماء ... ؟

- حتى يرغمونا على الإقضاء بكل ما نعرفه .. ولاشك أنهم استطاعوا معرفة حقيقة البرقية التي أرسلتها إلى مسز "أسكديل" ، التي أجابت بها العجوز.. فايقنوا أنني كنت أغرر بهم .. وما دام الأمر كذلك فلا ريب أنني أعرف حقيقة الرسالة وأدرك تضليلهم .. وقد خيل إليهم أنني مادم لا أبلغ رجال البوليس نبأ هذه الجريمة فساظطر لأذكر ما حدث بالأمس والإدلاء بالنص الحقيقي للرسالة السرية .. وعندئذ يعرفون مايسعون إلى معرفتهم طريق الصحف .

- اتظنهم يقتلون رجلا في سبيل ذلك .. ؟

- إذا كان للرسالة أهمية بالغة في نظرهم فلا ريب أنهم يقدمون على ذلك .. ولكني سافسد عليهم هذه الفرص .. وأقول لرجال الشرطة : إنني حضرت إلى هنا فوجدت الكلب مقتولا ، ومسز "أسكديل" فاقدة الرشد وذلك الرجل موثوقا فوق المقعد والخنجر في صدره .

- وماذا نفعل بمسز "أسكديل" .. ؟

- ستأخذها في السيارة إلى مسكني بـ "لندن" ريثما أنهب إلى مركز الشرطة القريب من هنا ثم الحق بك في "لندن" في موعد العشاء..

كان كل شيء بالكوخ على عهده به .. إلا جثة الرجل المطعون بالخنجر.. فقد اختفت كأنما بسحر ساحر .. كذلك اختفى قفاز مس "فيينابلز" .

وران الصمت هنيهة حتى قطعه الكونستابل قائلا :

- لست أرى أثرا لجثة ياسيدي .. هل انت واثق انك تركتها هنا ؟ ..

- بلا ريب .. وقد راها صديقي ايضا ..

- إنني أصدقك ياسيدي .. ولكن ربما غرر ذلك القتل المزعوم بك ..

ولاريب أنه من اللصوص .. وهو الذي قتل الكلب وخدر العجوز .. فلما

شعر بقدمكما أوثق نفسه حيثما اتفق على احد المقاعد .. ثم دس

الخنجر في ثيابه بحيث يبدو غائبا في قلبه .. فلما انصرفتما ركن

إلى الفرار ..

واعجب "لوبيين" بحصافة الكونستابل وراقت له هذه الفكرة لولا انه

يعرف انها ليست من الحقيقة في شيء .. فهو يعلم ان الرجل لم يوثق

نفسه على المقعد وانه لم يكن يحمل خنجرا آخر ..

وفي تلك اللحظة وقفت دراجة بخارية امام الكوخ .. وبدأ في بابه

شاب حديث السن يبدو عليه الخجل والحياء فصاح به الكونستابل

مداعبا :

- هاك حادث لصحيفتك ايها الفتى الصحفي .. ويمكنك ان تضع له

هذا العنوان :

" من الذي قتل كلب الصيد .. ولماذا ؟ "

واستطرد ممثل القانون بعد ذلك قائلا - "لوبيين" :

- سوف لا ادع هذا الامر يمر ياسيدي .. ولا بد أن انتقم لكلبك

المسكين هل تريد أن تعود معنا بالسيارة ..

وكان "لوبيين" يعمل فكره وقتئذ على ضوء ظهور الصحفي الشاب ..

واستقر عزمه على انتهاز هذه الفرصة .. فقال للكونستابل :

- شكرا ياسيدي .. سوف أبقى هنا ريثما ادفن الكلب .. ثم اعود

مع مستر "سيمور" على دراجته ..

وما كاد رجال الشرطة ينصرفون حتى افضى "لوبيين" للصحفي

الناشئ بجانب من حقيقة ماحدث .. وكيف استغل العصابة وبعث

إليها برسالة تختلف عن الرسالة الحقيقية ، وكيف انه يريد ان يمعن

في استغفاله من جديد .. ومالبثا أن أعدا معا مسودة المقال الذي سينشر بعنوان " أحداث عجيبة في كوخ ريفي .. رسالة من الظلام " .. وقد جاء فيها أن " المراسل علم من المستر " أرلو " المقيم في " لندن " يمضي بعض الوقت في صيد البط بكوخ مربيته العجوز أنه حدث في الليلة الماضية بينما كان بمفرده في الكوخ أن قذفت نافذته بحجر كبير حطم الزجاج .. وكان ملفوفا بقطعة من الورق سطرت عليها رسالة غريبة .. وكان الضباب من الكثافة بحيث لم يستطع مستر " أرلو " البحث عن الرجل الذي القى بهذه الرسالة .. فظنها مجرد مزحة من شخص ثمل .. إلا أنه عندما عاد إلى الكوخ عصر اليوم وجد كلبه المدلل مقتولا برصاصة في رأسه فاتصل برجال الشرطة الذين بدعوا تحرياتهم في الموضوع .. ولست في حل الآن من نشر محتويات هذه الرسالة الغريبة ..

واردف " لوبين " يقول للصحفي :

- سوف يحاول بعض الناس أن يتصلوا بك على اثر نشر هذا المقال ليعرفوا محتويات الرسالة السرية .. وما عليك إلا أن تمنع في إيقاظ فضولهم بمحاولتك كتمان الأمر .. وأخيرا تقول لهم فحوى الرسالة كما سأخبرك به ولكن دعهم يعتقدون أنك علمته من البوليس وليس مني .. اما الرسالة المزيفة الجديدة فلتكن (روزماري ب ج س دور) .

- ولكن ماهي الرسالة الأصلية ؟ ..

- سوف تعرفها فيما بعد يابني فلا تتعجل الأمور .

وبعد أن قاما معا بدفن الكلب في الحديقة ركب الفتى دراجته البخارية، وجلس " لوبين " خلفه .. ولكن مالبث أن جال بنظراته حواليه لحظة ثم قال للصحفي :

- عليك أن تخرج من البوابة في سرعة عظيمة ثم تتجه إلى اليسار وإذا كنت لاتريد أن تقتل برصاصة في يومك هذا فعليك أن تنحرف يمينا ويسارا حتى تصل إلى منعطف الطريق ..

وفعل الفتى ما أشار به " لوبين " .. فما كانت الدراجة تخرج إلى

الطريق حتى انهال عليهما وابل من الرصاص طاش جميعه دون أن يصيب الهدف ..

وكان "لوبين" قد رأى رجلين يختبئان خلف إحدى الأشجار بالقرب من الكوخ .. أحدهما ذلك الرجل الفارع الطول الذي رآه من قبل مع "داريل" وهو يسرع بالخروج من الكوخ بعد قتل أسيرهما المنكود .. وفي الساعة الثامنة كان يتناول العشاء مع صديقه "بيتر داريل" .. في فندق "العنكبوت" بكمبريدج ، وقد انضم إليهما "رونالد ستانديش" وكان "بيتر" قد حدثه قبل قدوم "لوبين" بالقصة كلها .. فاضاف إليها "لوبين" ما حدث بعد الظهر .. وأردف يسأله إن كان يعرف شيئاً عن هذه العصابة .. فاجاب :

- إنني أعرف ما يكفي لكي تتوقعا الموت في لحظة ..
فقهقه "لوبين" في جذل وقال :

- لماذا ؟ .. هل عرفت ذلك القاتل المحترف الفارع الطول ؟ ..

- لا .. ولكنني أعرف الكثير عن جمعية "المفتاح الفضي" .. فاصغيا إلي .. لقد بدأت تظهر هذه الجمعية في أوروبا عقب الحرب .. أي في سنة ١٩٢١ واعتاد الأعضاء أن يضعوا في ياقة معاطفهم مفتاحاً فضياً صغيراً كشارة للعضوية .. وهو رمز اتخذوه ليشير إلى أنهم سيفتحون الباب المؤدي إلى عالم أفضل يسوده السلام والطمانينة ومالبثت هذه الجمعية أن اتسع نطاقها وامتدت فروعها إلى فرنسا وبلجيكا .. وأخيراً إنجلترا ذاتها .. وكان هدفها القضاء على معدات الحرب وممهداتها ، بيد أنهم لم يكونوا يلجئون إلا إلى الاجتماعات والخطب الحماسية فحسب .

ولكن حدث منذ أربعة أعوام أن تطورت وسائل الجمعية وبدأت تسلك مسلكاً غريباً .. فقد حدث أن كنت وقتئذ أقوم بعمل مهم في وزارة الحرب .. فإذا برجل يطلب مقابلة أي شخص ليبدلي إليه بمعلومات مهمة .. فلما قابلته ورايت ذلك المفتاح الفضي أدركت أنه من أفراد الجمعية .. وماكان أشد دهشتي عندما قدم لي أوراقاً بها

تفاصيل صنع مادة شديدة الانفجار اخترعها الفرنسيون .

وكنْتُ أعلم أن العلماء في فرنسا يقومون بتجارب في هذا المضمار ..
فايقنت أن المعلومات التي جلبها لي الرجل صحيحة كل الصحة ..
ولكن عجبني تضاعف عندما رفض الرجل أن يبوح لي بعنوانه .. أو
يتقاضى اجرا على عمله هذا .. ومالبث أن انصرف وتركني مشبوها ..
ولم تمض أسابيع على ذلك حتى فوجئنا بامر غريب ، هو أن صورة
كاملة من هذه المعلومات قد وصلت بمثل هذه الطريقة الغامضة إلى كل
من المانيا وإيطاليا وأمريكا واليابان بلا مقابل .. فانركنا أن الجمعية
قد بدأت تستخدم وسائل عملية في سبيل تحقيق مثلها الأعلى ، وذلك
بان تسعى للحصول على المخترعات العسكرية الخطيرة لدولة ما
وتنشرها بين سائر الدول العظمى .. وبذلك لا يكون لإحداها قصب
السبق في امتلاك ناصية الأمر إذا سولت لها نفسها أن تشهر
الحرب..

ولم تلجأ الجمعية إلى الوسائل الإجرامية إلا بعد سنتين من ذلك ..
ولعلكما تذكران مانشرته الصحف عن الرجل الذي وجد قتيلا بطعنة
خنجر في الباخرة الهولندية .. فإن الغريب في هذه الجريمة أن الرجل
لم يوجد معه مايدل على شخصيته ، إذ سرقت الأوراق التي كانت في
جيبه كما سرق جواز سفره .. وكان يبدو إنجليزيا ولكن لم تثبت
شخصيته بصفة قاطعة .. فلما وصلت السفينة إلى ميناء " هاروتش "
لم يستطع البوليس أن يكتشف القاتل بين ركابها فاكتمى بتسجيل
اسماء الركاب جميعا وعناوينهم .. ولدى سؤال خادم القسم الذي كان
القتيل نازلا به قرر أن المسافر كان يحمل حافظة لأوراق صغيرة من
الجلد اللين يمسكها دائما بيده ، كما قرر حقيقة أخرى جعلتنا نزداد
اهتماما بالامر ، وهي أنه كان يعاون القتل ذات يوم في ارتداء معطفه
فراى في الياقة مفتاحا فضيا صغيرا .. ومع ذلك فإن هذا المفتاح لم
يوجد في مكانه عند فحص الجثة وماعليها من ثياب .. مما يدل على
أن القاتل كان قد نزعه واخفاه..

وكنا نفكر فيما إذا كان الباعث على القتل ذا صلة بعضوية القتل
في جمعية المفتاح الفضي - إذ استبعدت السرقة لوجود نقود القتل
كاملة - وفيما إذا كانت الجمعية قد بدأت تلجأ إلى العنف في
اعمالها.. عندما وصل إلى "سكوتلانديارد" خطاب غفل من الإمضاء
يقول فيه مرسله :

" إذا أريتم معرفة الحقيقة في مقتل المسافرين على الباخرة الهولندية
فابحثوا عن السبب الذي من أجله قتل "ماريو مارتيني" بطعنة خنجر
في "جنوا" قبل جريمة الباخرة بيومين وما الذي كانت تحويه حافظة
أوراق القتل ؟ ..إن جمعية المفتاح الفضي لاتزال حريصة على مثلها
العليا ولكن هناك خيانة بين بعض زعمائها ..

وكان ختم مكتب البريد "كنسجتون" كما كان ورق الرسالة عابيا
لايحمل علامة ما .. ولذلك لم يستطع البوليس الاهتمام إلى كاتبها ..
فاتصل بالبوليس الإيطالي بشأن جريمة "جنوا" وعندئذ علمنا
لدهشتنا أن هذه الجريمة وقعت حقيقة وأن "ماريو مارتيني" كان
رساما ماهرا في البحرية الإيطالية وكان وقتئذ يشتغل بعمل رسوم
سرية عن الغواصة التي اخترعها الإيطاليون .. وكان المظنون أنها
تفوق الغواصات العادية إلى حد بعيد ..

ولم نعرف السر في سبب مقتل الإيطالي والرجل الثاني الذي قتل
بعده بيومين .. وأذاعت "سكوتلانديارد" في جميع الصحف تطلب
إلى مرسل الخطاب أن يتقدم إليها ولكن في اليوم التالي وجد رجل
ملقى في حديقة منزل بـ "كنسجتون" .. وقد دق عنقه .. وتبين أنه
يقطن بحجرة في الطابق الرابع ، وزاره بعض الناس في الليلة
السابقة ولبثوا عنده إلى وقت متأخر من الليل .. أما من هؤلاء الزوار
فذلك مالم يتيسر لأحد معرفته .. وقد تبين أن الرجل القي به من
النافذة ، كما تبين من مقارنة خطه بالرسالة أنه هو كاتبها .. ولم يكن
له أقارب أو أصدقاء كما لم يكن يغادر حجرته إلا قليلا .. فلما وجدنا
مفتاحا فضيا صغيرا في أحد أنراج صوانه .. أدركنا أن الجمعية قد

انتقمتم من عضو خائن...

ومن المحقق أن الجمعية قد انحرفت عن خطتها الأولى .. فقبل ذلك كانت تمنح الأسرار الخطيرة للدول جميعا .

ولكننا علمنا بعد ستة أشهر أن فرنسا قد ابتاعت سر الغواصة الإيطالية لقاء مبلغ عظيم من المال .. وهكذا تحولت جمعية الافتتاح الفضي إلى عصابة إجرامية خطيرة دون أن يشعر تسعة وتسعون في المائة من أعضائها العاديين بهذا التحول .. وإنما كان قياد زعامتها قد تحول إلى عصابة من الجواسيس الدوليين الذين لا يكفون عن القتل .. ولكنهم يستخدمون صغار الأعضاء ، ذوي الأغراض الطيبة الأصلية للجمعية .. في تحقيق أغراضهم ثم يقتلونهم .. فالرجل الذي قتل على السفينة كان يحمل رسوم الغواصة الإيطالية إلى البحرية الإنجليزية كما حدث من قبل .. والرجل الذي دق عنقه في "كنجستون" قتل لأنه توصل بطريقة ما إلى معرفة أشياء ينبغي ألا يعرفها أمثاله من الأعضاء العاديين .. أما "ماريو مارتيني" فقد قتل حتى لا يعطي الرسوم إلى أعضاء آخرين كي يسلموها إلى حكوماتهم في الدول الأخرى كما جرت عليه عادة الجمعية . هذه هي الاستنتاجات التي وصلنا إليها بعد طول إمعان الرأي في الحوادث الثلاث ..

فقال "لوبيين" : ومتى وقعت هذه الحوادث ؟ ..

- منذ ثمانية عشر شهرا ، ولكننا لم نسمع شيئا عن الجمعية بعد

ذلك ، ولذلك يخيل إلي أنها قد عادت إلى نشاطها ...

- ألا يمكنك أن تحس ما هم وراءه الآن ؟ ..

- كلا .. فقد تركت خدمة المخابرات السرية منذ تسعة أشهر ، ولكنني

سوف أتصل بهم لأعرف المزيد من أخبار الجمعية ..

فقال "داريل" : هل تظن أن الرجل الذي قذف النافذة بالحجر هو

"ماريو مارتيني" جديد في إنجلترا .

فاجاب "لوبيين" :

- ذلك محتمل .. ولكن من العسير أن نقتفي أثره .. وفي ظني أنه

شخص آخر ، لاننا إذا فرضنا انه ذلك الخائن الذي باح بأسرار وطنه، فلماذا يبعث بهذه الرسالة عبر النافذة .. إذا كان قد أصيب بهذا الجرح العميق الذي تنم عنه بركة الدماء ، فلماذا لم يحضر إلى الكوخ توأ ويطلب النجدة من ساكنيه .. بل لماذا يبعث برسالة رمزية لاسبيل إلى حل شفرتها .. إلا إذا كان قد خشي ان يعثر عليه " إميل" وشركاه بعد ذلك فيقتلوه ويقتلوا معه ساكن الكوخ فلا تصل رسالته إلى الذين يريد أن تصلهم .. ولكن الذي يثير العجب والحيرة في نفس الوقت إنما هو مسلك الفتاة .. فقد دست لي المخدر في الشاي ثم بذلت جهودا جبارة في سبيل معرفة سر الرسالة .. وفي الطريق حدثتني عن جمعية المفتاح الفضي في براءة وسداجة .. فلماذا ذكرت الجمعية إطلاقا .. ولاتنسيا ماقاله لنا الرجل الذي قتل في الكوخ من أنها خدرت هي الأخرى مثل مسز "اسكديل" ، وحملت إلى سيارة المعتدين .. فلماذا يفعلون ذلك بها إذا كانت منهم ؟ ..

وفي هذه اللحظة حضر أحد الخدم ليسال عما إذا كان أحدهم يدعى مستر "لوبين" ، إذ إنه مطلوب بالتليفون فمضى "لوبين" في إثره ، فقال "ستاندش" : - إنه على حق يا "بيتر" .. فلماذا عادت الفتاة وحدها إلى الكوخ بعد الظهر؟..

- لعلها أرادت أن تتحقق من البرقية ..

- وما الذي أثار ربيبها إذن .. لقد اعتبرتها صحيحة في الصباح ولذلك ضللت "لوبين" وأرسلته إلى "كسنجلاند" .

- الواقع أنني لا أكاد أفقه شيئا من هذه المشكلة .. كما أنني لا أعرف الدور الذي يلعبه ذلك الرجل المديد القامة ، وهل هو من المجرمين الدوليين الذين أشرت إليهم ..

وعاد "لوبين" إليهم بعد لحظة فقال : إن مسز "اسكديل" قد أفاقت من سباتها وذكرت له أن الفتاة حضرت إليها بعد الظهر لترى الرسالة الأصلية فأخبرتها العجوز أنها مزقتها وفي هذه الأثناء اقتحم الكوخ بعض الرجال وحققوها في نراعيها فلم تدر شيئا بعد ذلك .. وأردف

قائلا :

- لاريب أن عامل البريد قد تحدث عن البرقية التي أرسلتها مسز "اسكيل" إلى "مريدت" ، وأن الحروف التي بها ليست إلا رموزا خاصة بالسباق ، فسمعه أحد أفراد العصابة وأبلغ "مريدت" ذلك ، ولذا عانت الفتاة لتري الرسالة بنفسها ..

- ولكن لماذا تبعها بعض أفراد العصابة .. ولماذا خافت لدى رؤيتهم وأمسكت بالعجوز مستنجدة .. بل لماذا خروها وحملوها معهم ؟ ..

- إن الأمر يستقيم لو فرضنا أن "إميل" وشركاه ارتابوا في مسلك الفتاة .. وخشوا أن تكون في الرسالة بيانات خطيرة ينبغي ألا تعرفها - ولعلها من الأعضاء العابيين في الجمعية - فاقفوا أثرها وقبضوا عليها ..

- لاريب أنها في خطر ..

- ربما كان الأمر كذلك حقا ..

فقال "ستاندش" : وما الذي ينبغي أن نفعله الآن .. ؟

- هيا بنا نذهب إلى المشرب ، لعلنا نستطيع أن نعرف شيئا عن الساقية ..

ومضى الرجال الثلاثة فاتخذوا مجالسهم فوق المقاعد العالية للمشرب حيث راح "لوبيين" يغازل الفتاة ويطري جمالها .. وأخيرا سالها عما إذا كانت قد رأت قصر "هارتلي كورت" ، ومن صاحبه .. فاجابت الفتاة أنه الدكتور "بلفاج" ولكنه يؤجره للغير .. وأضافت الفتاة أن هذا الطبيب قد شطب اسمه من سجل الأطباء ، إثر فضيحة حدثت منذ عام انت إلى حرمانه من مزاولة المهنة .. ولكنها لاتعرف أين يقيم الآن ؟ ..

وفيما كانت الفتاة ماضية في ثلثرتها حانت منها لفظة إلى الباب ، ومالبثت أن غمغت :

- يا إلهي .. إذا تكرت الشيطان جاعك يسعى ..

فقد دخل المشرب في تلك اللحظة رجل قصير القامة ، متين البنيان

نو وجه مكتنز وعينين ضيقتين يشع منهما الخبث والدهاء .. واتخذ
مجلسه على المشرب بجوار " لوبين " وزميليه .. وكان وجه " لوبين "
جامدا لايفصح عن شيء فقد رأى في ياقة معطف الدكتور " بلفاج "
مفتاحا صغيرا من الفضة..".

كان الدكتور " بلفاج " رجلا ثرثارا ، خصوصا إذا تناول شرابا ..
فما كاد يجرع كاسه الأولى حتى بدا " لوبين " وزميله يتحدثون ، وكان
عاديا يتناول الجو وأنواع الشراب ، ومالبث " ستاندش " أن سألته
فجأة:

- معذرة ياسيدي إذا وجدت في سؤالي شيئا من القحة .. ترى هل
لهذه الشارة التي تضعها في معطفك أية دلالة ؟ ..

- بلا شك ياسيدي .. إنها شارة جمعية انتمي إليها ، وسأذهب
لحضور اجتماع لها الليلة بالذات .

- حقا .. لا ريب أنها جمعية خيرية محلية ..

- إنها أبعد ما تكون عن ذلك .. وأرجو ألا تعدني مغاليا إذا قلت لك :
إن أنصارها يملئون العالم .. وهي تتخذ المفتاح الفضي شعارا لها
رمزا على فتح باب عالم أفضل وأكثر أمنا وسعادة .. ومعظم الناس
هنا أعضاء فيها ، إذ إننا لا نقتضي رسما للدخول ، والعضوية

مفتوحة لجميع الطبقات بلا تمييز ..

- جميل .. جميل جدا .. سوف اطلب المزيد من المعلومات عنها في فرصة أخرى ..

- هل لك أن تأتي معي لحضور اجتماع الليلة ، أنت وصديقك .. إن لكل عضو أن يحضر معه احد اصدقائه ، ولكنني أستطيع أن اصحب ثلاثكم ..

- إنها مكرمة منك ياسيدي .. واين يعقد هذا الاجتماع ؟
- في قصر املكه ويدعى " هارتلي كورت " ، على بعد ثلاثة أميال من هنا .. وهو مؤجر في الوقت الحاضر لواحد من الاعضاء الراسخين في الجمعية نفسها ..

ونظر في ساعته ، ثم أرفف :
- ويحسن بنا أن نمضي الآن فالاجتماع سوف يعقد في الساعة التاسعة والنصف ..

فقال : لوبين " وهو يهز رأسه :
- أخشى الا يكون في وسعي أن أحظى بهذا الشرف ، لانني مرتبط بموعد في " لندن " يضطرني للذهاب إليها الآن ..
وكذلك اعتذر " داريل " ، فقام الطبيب ومعه " ستاننش " ومالبثا أن غابرا الفندق ..

وعندئذ ناول " لوبين " صديقه قصاصة صغيرة من الورق كان " ستاننش " قد دسها في يده منذ لحظة ، وقد جاء بها :
يجسن الا تحضرا فلعل هناك من يعرفكما .. ولكن كونا على استعداد في الخارج إذ ربما يحدث ما ليس في الحسبان وترك " لوبين " و " داريل " مكانهما في المشرب ثم ذهبا إلى البهو الداخلي ليستطيعا أن يتحدثا في الأمر قليلا على انفراد قبل أن يذهبا إلى " هارتلي كورت " ..
وفيما كانا يجلسان في هدوء ودعة لمح " داريل " عينين متفرستين تحديقان النظر إليهما من وراء الكوة الزجاجية التي باعلى الباب ، فلفت نظر " لوبين " إلى تلك وماعتما أن اسرعا إلى الخارج ولكنهما لم

يجدا أحدا ، فسأل لوبين " البواب :

- هل كان هنا سيد طويل القامة جدا ؟ ..

- نعم ياسيدي .. وقد استقل سيارته منذ ثمانية واحدة ومضى بها

وهي سيارة طويلة سوداء اللون ..

فتحول " لوبين " إلى صديقه ، بعد أن تركا البواب .. قائلا :

- أترى في ذلك أصبع الدكتور " بلفاج " يا " بيتر " .. ؟

- ولكنه لايعرف ..

- ربما وصفني لهم فجاء هذا العملاق ليتحقق الأمر بنفسه .. وأرى

يا بني أن أحداثا جسيمة تحدث الليلة في " هارتلي كورت " خلف ذلك

الاجتماع ، ولذلك ظهر الدكتور " بلفاج " على مسرح الحوادث .. ولكن يا

إلهي .. من هذا؟

الماجور " جريجسون " ..

وكان القادم شابا طويلا عريض المنكبين وسيم الطلعة .. حيا

" لوبين " في بشر واحتفاء فقدمه لصديقه بينما أرفف " لوبين " :

- هل قدمت في مهمة رسمية يا " همفري " ، أم ماذا ؟

- ليس كذلك تماما .. ولكن ماذا تفعلان هنا ؟

- نحاول أن نسطو على المقصورة المجاورة .. و " رونالد ستاندينش "

كان معنا الآن .. ولكنه ذهب ليحضر اجتماعا لجمعية " المفتاح

الفضي " ..

فوجم " جريجسون " لحظة .. ثم غمغم :

- وما شأنه بهذه الجمعية بحق السماء .. ؟

لقد دعاه سيد رقيق إلى الذهاب معه .. ولكن خبرني يا

" جريجسون " .. هل سمعت عن رجل يدعى الدكتور " بلفاج " .. أو

" مريديت " أو الماني يدعى " إميل " ..

فصاح ضابط المخابرات :

- لست أعرف الأولين .. ولكن هل " إميل " متوسط القامة أسود

العينين .. يدل مظهره على الخطر .. حسنا ربما كان " إميل فايت " ..

ولكن خبرني ماحقيقة الامر فإنه يبدو لي ان الظروف قد جمعتنا في قضية واحدة .

ولم يجبه " لوبين " للتو .. ولكنه قال بعد لحظة :

- ما عملك في الجيش الآن يا "همفري" ؟ ..

- المخابرات السرية ..

- حسنا .. هل إذا ارسلت تقريرا أو رسالة توقعه باسمك الصريح ..

- لا ادري إذا كان في وسعي الإجابة عن هذا السؤال يا " لوبين "

ولكن لماذا .. ؟

- الا يحتمل ان توقع تقريرك برمز مثل ٢ او ٣ مثلا ..

- ربما كان الامر شيئا من ذلك .

- حسنا .. لقد سالتني عما زج بي في هذه القضية ، واجيبك أن

السبب هو ان شخصا يوقع بإمضاء ١ . ٥ ..

فصاح " جريجسون " دون وعي : أه . "جنجر لوفلاس" ..

- لقد القى برسالة في كوخ كنت نزيلا به في الليلة الماضية ..

- ولكن لماذا فعل ذلك ؟ ..

- لأنه كان جريحا جرحا خطيرا .. وكان " إميل " وعصابته يقتفون

أثره ..

- يا لله .. " جنجر " مصاب .. ولكن أين هو الآن ؟ ..

فقص عليه " لوبين " مامر من الحوادث .. وأخبره بنص الرسالة

السرية ، ولكن الضابط لم يفهم شيئا منها ، وقال إن كل مايعرفه عن

"جنجر لوفلاس" أنه منح اجازة لمدة شهرين ومعنى ذلك أنه كلف بمهمة

معينة .. ثم قال :

- لا اعرف إلا أنه كان في " بولندا " بل لقد كنت اظن أنه هناك حتى

الآن .. أما أنا ..

وخفض الضابط من صوته وهو يستطرد :

- أما أنا فقد جئت لمهمة غريبة .. فعلي أن اقابل امرأة هنا في

الساعة العاشرة ، فاسمع ماتريد أن تقوله لي ، ثم اتصرف كما يبدو

لي على ضوء المعلومات التي سالتقاها .

وهاهي ذي الساعة قد شارفت العاشرة ولن تلبث المرأة ان تحضر ..

- او لعلها لن تحضر يا " همفري " .. وقد بدأت أرى جيداً وسط

الظلام.. الا تعرف وصف هذه المرأة ؟ ..

- نعم.. ولا يعلمه الرئيس بالمثل .. ولكنه كان يذكر جمعية " المفتاح

الفضي" مما يدل على أنك أيضاً على صلة بهذه القضية .. ولكن هل

تظنها الفتاة التي رويت لي قصتها الآن ؟ ..

- ربما كان الامر كذلك .. ولعلها تعمل في إدارة المخابرات مثلك ..

- لا أدري حقاً يا " لوبين " .. ولم اسمع باسم " دوريس فينابلز " من

قبل .. ومع ذلك فسوف اتصل بالرئيس تليفونيا لاستفسر منه عن

ذلك..

وعاد إليهما بعد لحظة فقال إن الرئيس لايعرف شيئاً عن "دوريس

فينابلز"، كما أن المرأة التي اتصلت به لم تذكر اسمها .. وكان اتصالها

به بعد الغداء.. وقد ذكرت جمعية " المفتاح الفضّي " و " إميل فايت " ..

- وهل هذا الألماني معروف لكم ؟ ..

- لقد كان يشغل مركزاً رفيعاً في إدارة المخابرات السرية الألمانية في

أثناء الحرب العظمى اما الآن فإنه جاسوس دولي .. يخدم من يدفع له

أجراً أعلى .. ولكن هيا بنا إلى ذلك المنزل الذي يعقد به الاجتماع فإن

الساعة قد بلغت العاشرة والنصف دون أن تحضر المرأة .

وبعد لحظة كان ثلاثتهم يستقلون سيارة " لوبين " ويمضون بها

نحو وكر الأفعى ..

وقد حرص " لوبين " أن يسلك طريقاً جانبياً ملتويًا في نهابه إلى

"هارتلي كورت" ، وهناك رأى صفًا من السيارات ادرك حين رآه أن

الاجتماع لم يفض بعد.. ولم يجد الرجال الثلاثة أي مشقة في العثور

على موضع منعزل بين الأعشاب كمنوا فيه وراحوا يرقبون القصر

والأضواء المتلألئة في القسم الخلفي منه حيث يعقد الاجتماع ..

وكانوا يرون جانباً من الموائد التي مدت للمجتمعين ، ويرون رجلاً

ممتلئ الجسم يلقي خطابا طويلا ، ولكنهم لم يسمعوا حرفا واحدا مما كان يقوله .. واخيرا بلغ مسامعهم صوت تصفيق حاد ، وقف على اثره "مريديت" ليلقي كلمته ..

واستطاعوا أن يروا كذلك "رونالد ستاندش" وهو يجلس بجانب الدكتور..

وانفض الاجتماع اخيرا، وغادر المحتفون موائدهم ووقفوا في حلقات صغيرة، فدنا "رونالد ستاندش" من النافذة ، وهو يتحدث إلى الدكتور "بلفاج"، ثم أشعل لغافة من التبغ وأدار ظهره إلى النافذة ، فلمحوا ضوءا صغيرا يتحرك في حركات متعاقبة ، فغمغم "لوبين" :
- اه .. إنه يرسل إلينا إشارة بطريقة "مورس" ..

وبعد لحظة أردف : إنه يقول : هل انتم هنا .. اجيبوا بصوت طائر..

فاسرع "بيتر داريل" يقلد نغيق البوم .. وعندئذ بدأت الإشارات تظهر من جديد وكان فحواها هذه المرة : "انتظروا سوف الحق بكم .. خطر.."

وخطا "ستاندش" بعد ذلك إلى داخل الحجرة ، وفي الوقت نفسه كان المجتمعون ينفضون ، وقد علا صوت محركات السيارات عند الواجهة الامامية للمنزل ..

وبقي الدكتور "بلفاج" و "مريديت" في الحجرة ، على حين لم يكن ينبعث من القصر وقتئذ أي ضوء آخر ، وكان يبدو انهما يتجادلان وقد ظهر الانفعال الشديد على الطبيب السابق في حين راح "مريديت" يحاول أن يهدئ من ثورته.

واخيرا صاح الطبيب بعبارة سمعها الكامنون إذ قالها في صوت حاد مرتفع: - هذا جنون .. لماذا لم تخبروني بالامر .. ؟

واخيرا انتهى جدالهما . ودنا "مريديت" من النوافذ فاوصدها في إحكام .. وعندئذ طلب "لوبين" من زملائه أن ينتظروه ريثما يقترب من المنزل لعله يكتشف وسيلة للدخول ، ومضى نحو النافذة الموصدة

وراح يختلس النظر خلال شقوق مصاريعها الخشبية ، فاستطاع ان يرى الدكتور " بلفاج " وهو يذرع الحجرة ذهابا وجيئة وقد قطب جبينه .. ولكنه وقف فجأة وواجه الباب .. وعندئذ رأى " لوبين " ظلا يسقط على الأرض ، وتبعه رجل اسمر الوجه ذو وجنتين بارزتين وانف معقوف حدس " لوبين " للتو انه اسباني .. فتقدم نحو الطبيب قائلا :

- كيف حالك يا دكتور " بلفاج " ؟ ..

- كما كنت اتوقع .. فإن هذا الرجل شيطان لاتلين له قناة ..

وسمع " لوبين " صوتا جديدا ، كان صاحبه مختفيا في ركن الحجرة يقول:

- إن غيره كانت إرادته حديدية ولكنها تلاشت أخيرا .. فالمسألة مسألة وقت ..

- ولكننا لم يعد لدينا وقت نضيعه .. ثم إن هذا الرجل " أرلو " ، الذي لم أسمع عنه إلا الليلة عند قدومي هنا ، قد يكون يعرف الكثير .. لقد كان من الجنون الا تخبروني عنه من قبل .. ومن العجيب أنني دعوته بنفسه للحضور إلى هنا ..

- وماذا لو فعل ؟ .. إن ذلك كان يخفف عنا بعض مضايقاته .. ولكن اعصابك شديدة التوتر الليلة يا دكتور .

- لعنة الله عليها ، فما عدت أحتمل أكثر من ذلك ..

ولم يخطر لي قط أن الأمر سيطول إلى هذا الحد .. ومن المحتمل بعد ماحدث ليلة الأمس ، أن نفاجأ بأحداث أخرى ..

- هدى من روعك يا دكتور .. وإني أعترف أنه كان من سوء الحظ أن صديقنا " إميل " سمح لذلك الشرطي المتطفل بأن يهزأ منه .. كما كان من سوء الطالع كذلك أنه حسب " أرلو " عاملا ريفيا غبيا .. ولكني واثق أن " أرلو " هذا لايعرف شيئا عن حقيقة الأمور وإلا لكث في " كمبردج " ..

- لو أننا علمنا مدى معرفته بالحقيقة ؟ ..

- ربما وصلنا إلى ذلك قريبا ..

وكان المتكلم قد دنا من نطاق "لويين" فوجده الرجل الطويل الذي كان في الكوخ .. وفي الوقت نفسه سمع خلفه صوتا يغمغم في همس:
- يا إلهي .. إنه "جريجوروف" ..

وكان "ستاندش" هو الذي قال ذلك ، ثم استطرد :

- إنه أعظم المجرمين خطرا وأشدّهم بطشا .. وهو يعمل في المخابرات السرية الروسية ، وكان ينبغي أن أحس من هو عندما حدثتني عنه الليلة ..

وفي هذه الأثناء كان الروسي يقول :

- لقد اتخذت هذا المساء بعض الخطوات التي تحول دون معرفة "أرلو" المزيد من المعلومات .. وأظنها كافية .. أما الآن فهيأ بنا ننصرف من هذا المنزل ..

ولم تمض لحظات حتى أطفئ الضوء في الحجرة ، وعندئذ ساد القصر ظلام دامس .. وعاد "لويين" و "ستاندش" إلى زميليهما حيث سال "ستاندش" عن سبب إنذاره لهم بالخطر فقال :

- كان كل شيء يبدو بريئا طبيعيا ، حتى رايت "مريدت" فتبينت أنني سبق أن رايتَه من قبل .. وذلك عندما حكم عليه بالسجن سبع سنوات بتهمة التزوير.. وكان اسمه وقتئذ "فيرجوسن" .. فوجدت من الحكمة أن أنزركم .. ولكني لم أر في الاجتماع "إميل فايت" ، ولا "جريجوروف" وهانذا الآن قد رايت الأخير فلم يعد لدي شك في أننا وراء مغامرة خطيرة ، وكما قلت لك في الفندق، إننا أمام حالة تشبه حالة "ماريو مارتيني" الإيطالي .. ولكن من ذلك الذي قبضوا عليه ، وما السر الذي يسعون إلى معرفته فهذا مالا يستطيع أن أحسنه..

وفي هذه اللحظة انبعثت في وسط السكون صيحة عالية مدوية ، هي صيحة امرأة تستغيث .. وكانت صادرة من داخل القصر .. فأسرع الرجال الأربعة نحوه وراحوا يبحثون عن نافذة مفتوحة يتسللون منها، فكان من حسن حظهم أن وجدوا الباب الخلفي للقصر غير محكم

الغلق .. فولجوه .. وبعد لحظة كانوا داخل المنزل ..

وكان السكون عميقا والظلام شاملا .. فاشعل " لوبين " مصباحه الكهربائي حتى وجد الدرج ، ومن ثم راح يرتقيه وخلفه زملاؤه في خفة وحذر ..

وراوا بصيصا من الضوء ينبعث من حجرة كان بابها مواربا ، فادركوا انها حجرة داخلية ولكنهم قبل أن يصلوا إلى قمة الدرج سمعوا نشيج المرأة وعويلها ، على حين أجابها صوت أجش غليظ :

- إن عقاب الخونة الموت ..

وعندئذ اسرع " لوبين " نحو باب الغرفة فدفعه مرة واحدة .. وليهشتهم وجدوا انها حجرة للعمليات الجراحية كالتي توجد في المستشفيات .. وكانت جدرانها ناصعة البياض والضوء فيها ساطع يبهز الأنظار .. وكانت أدوات الجراحة تتالق امام انظارهم .. كما كانت منضدة العمليات في وسط الحجرة وحولها كثير من الأدوات اللامعة .. وببت لهم الحجرة خالية .. ولكنهم مالبثوا أن راوا امرأة ملقاة في ركن الحجرة الداخلي والدموع تهطل من عينيها .. ولكنها كانت قد كفت عن النشيج وراحت تحديق النظر إليهم في دهشة وحيرة .. وكانت سمرة بشرتها تنم عن انها أجنبية عن البلاد .. وما لبثت أن وضعت أصبعها على فمها محذرة ، إذ كانت غمغمة اصوات تنبعث من الممر امام الحجرة ، ثم غمغمت :

- انقذوني .. انقذوني بالله عليكم ..

فاجابها " لوبين " : سوف ننقذك .. فانهضي .

- ولكني موثقة ..

فاسرع " لوبين " يزرع الحجرة إليها ، ويحملها بين ذراعيه إذ كان من المحتمل أن يحضر أفراد العصابة بين أن وآخر بينما كان " لوبين " يود الخروج بالمرأة في أسرع وقت حتى يعرف مالديها من معلومات عن "جريجوروف" و"إميل فايت" واتباعهما ..

وعندئذ حدث امر مفاجئ إذ أغلق باب الحجرة بغثة بصوت

مسموع، فوضع "لوبين" المرأة على منضدة العمليات وراح يفحص الباب فوجده من الصلب وقفله أشبه باقفال الخزائن ..

ولم تكن بالحجرة نوافذ البتة .. كما أن تحطيم هذا الباب يحتاج إلى طن من الديناميت وإلى ساعتين على الأقل حتى يستطيع "لوبين" فتحه بمهارته المعهودة .. وعندئذ كانت المرأة تغمغم في لكمة اجنبية :
- ويلاه .. إنها الحجرة التي يشرح الطبيب فيها أجساد الناس ..
والصوت لا ينفذ من جدرانها أبدا ..

فقال "لوبين" : ما شأنك بهم يا عزيزتي .. ولماذا سجنوك .
- لأنني عرفت أشياء ماكان ينبغي أن أعرفها .. وقلت إنني سابلغ البوليس ..

وما هذه الأشياء .. ؟

- إنهم قد قبضوا على الرجال وسجنوهم في مكان بعيد .. وها نحن أولاء أيضا قد غدونا سجناء بدورنا .
- ألا تعرفين من هؤلاء الأسرى أيتها الأنسة ..

- نعم ياسيدي .. نعم .. ولكن أحدهم عجوز . بينما الآخر في مثل سنك .. وقد حبسوهما في منزل كبير جدا . ولكن .. رياه .. إنني أشعر بشيء غريب .. والواقع أن "لوبين" كان يحس بذلك الشيء الغريب نفسه . ولذلك جلس فجأة إذ شعر بقواه تخور ، وبأنه لا يستطيع أن يحرك ذراعيه أو قدميه .. كذلك كانت حال زملائه الثلاثة ، وقد سقطوا على الأرض واحدا بعد الآخر ..

وحاول أن يخرج مسدسه ، ولكن ذراعه لم تطاوعه وكانها قيدت إلى جانبه بقيد من حديد .. كذلك كانت قدماه كأنما سمرتا في الأرض .. وكان يشم رائحة ضعيفة لذيدة .. ، أدرك أنها رائحة غاز يشل الحراك ، ولكنه لا يمنع فريسته من الرؤية والسمع .

ورأى رجلا ينحني فوق " ستاندرش " ويوثق يديه وقدميه .. وعندئذ أدرك أنه أيضا قد عومل بالمثل وأنه قد ربط في مقعده .. ومالبث الرجل أن اختفى وعاد السكون يشمل الحجرة من جديد ..

كان "لوبيين" يشعر بتباعد في ذهنه .. فظل ينظر إلى "ستاندش" نظرة جامدة لا معنى لها ، كمثل لايعي .. ومالبث أن شعر بوخز في نراعيه وساقيه، فعلم أن المخدر قد بدأ يزول أثره .. وأخيرا استطاع أن يفيق منه تماما وأن يحرك رأسه فيرى "داريل" قد أفاق بدوره وكذلك "ستاندش" .. ولكن "جريجسون" كان لايزال واقعا تحت تأثيره .. أما الفتاة فلم يكن لها اثر في الحجرة ..

وكان واضحا أن الغاز نغث في الحجرة من طاقة تكييف الهواء .. أما أين كانت الفتحة .. فذلك ما لم يعرفه "لوبيين" .. ولم يتسع له الوقت للتفكير ، إذ كان الباب قد فتح ، ودخل منه "جريجوروف" والاسباني و"إميل فايت" ومعهم رجلان من أتباعهم .. فقال الروسي وهو يشير إلى "داريل" :

- لقد كان هذا الرجل مع "أرلو" في الكوخ عصر اليوم ولكن من هذان الآخران .. ؟

فقال "فايت" - "ستاندش" ..

- اظنني رأيت وجهك من قبل .. من أنت ؟

- لا شأن لك بهذا ..

واستطرد الروسي يقول - "لوبيين" :

- اليس من العجيب يامستر "أرلو" أن أبسط الخدع وأيسرها هي أوفرها نجاحا .. ودعني أقل لك إنك جلبت المتاعب على نفسك وعلى أصحابك معا .. وكان ينبغي أن تدرك من أول الأمر أنك تضايقني بتدخلك في شؤوني وأنني لم أسكت على فضولك هذا ، ولن أهدأ حتى أضع حدا ولكنك من جهة أخرى اتحت لنا فرصة اختبار شيء معين كنا نهتم به كل الاهتمام .. ولذلك عولت على أن أبقى على حياتكم جميعا بشرط معين .. هو أن تقول لي النص الحقيقي للرسالة التي تلقيتها من الكوخ أمس .. وأعلم أن حياتك معلقة على تحقيق هذا الشرط ..

- هب أنني تلقيت هذه الرسالة ، وأنني أخبرتك بفحواها ، فهل

تطلق سراحنا الآن .. ؟

فابتسم " جريجوروف " في خبث وقال :

- إنك يا عزيزي المستر " ارلو " تحكم على عقلية سائر الناس بما توحيه إليك عقليتك أنت .. ولاتنس أنك اشتهرت باختراع الرسائل ، ولذلك لن اطلق سراحك على الفور ، وإنما ستبقى هنا حتى نفرغ من العمل الذي جئنا من أجله إلى هذه البلاد .. ولكنك إذا اعطيني الرسالة الحقيقية فأني اعدك بالا يطول احتجازك هنا أكثر من بضعة أيام .. ولأريب أن رجالا في مثل قوتكم لن يموتوا جوعا من ثلاثة أيام او أربعة .. أما إذا رفضت الإدلاء إلي بالرسالة ، فأني أخشى أن تظلوا في هذا الحبس مدة غير محدودة .. ربما كانت شهورا او اعواما .. لأننا عندما نرحل الليلة سوف نغلق القصر ونشيع في الانحاء المجاورة أن مستر " مريديت " قد رحل إلى الخارج ..

- وماذا يكون موقف " مريديت " عندما تكتشف جئنا ؟

- إنه لايعرفكم .. ولأريب أنكم سطوتم على القصر واغلق عليكم باب الغرفة بخطا غير مقصود .. خطأ رهيب أدى إلى كارثة ..

- وهل اوثقت ايدينا وارجلنا بخطا غير مقصود ايضا ؟

- سوف نحل وثاق أحدكم يامستر " ارلو " وعليه أن يفعل بكم المثل بعد رحيلنا .. وسيكون في وسعكم أن تتجولوا في الحجرة كيف شئتم، وأن تصيحوا ملء أفواهكم وأن تقرعوا رموسكم بالجدران ..

وكان كويين قد اخلد إلى التفكير . ومالبث أن قال :

- هب انني اخبرتك بفحوى الرسالة ، فما الضمان على أنك ستحافظ على وعدك ؟ ..

- لاشيء .. ولا تنس أنك لست في مركز يسمح لك بإملاء هذه الشروط ..

- حسنا .. سوف اجازف بحياتي .. وارجو أن يكون فحوى الرسالة ذا معنى بالنسبة إليك .. فقد عجزت وزملائي عن فهمها .. لقد كانت هكذا : " روزماري ب ج س دور " ..

فقال الألماني : أين كانت الرسالة عندما فتشتك .. ؟

- حيث وجبتها فيما بعد .. بين زجاج النافذة المحطمة ..

- وأين هي الآن ؟ ..

- في رأسي ، فقد أحرقتها ..

وراح " جريجوروف " والألماني يتبادلان الحديث همسا هنيهة ،
بينما كان " ستاندش " ينظر إلى الأسباني مليا .. وأخيرا عاد
" جريجوروف " يسأل "لوبين " :

- ألا تعرف معنى هذه الرسالة .. أو شخصية كاتبها ؟

- كلا .. فإنها مكتوبة بشفرة سرية فيما يبدو لي .

- ولماذا اختلفت تلك الرسالة الأخرى التي أبرقت بها عجوزك
الشمطاء ..

- لقد أردت أن أسخر من أصحابك ..

- وهل يعلم أحد فحوى الرسالة الحقيقية .

- لا .. فيما عدا رجال البوليس في " بلمورتون " .. فقد أخبرتهم بها

عندما أبلغتهم بمقتل الرجل الذي اغتيل في الكوخ ..

- سؤال آخر ياعزيزي " ارلو " .. ما الذي تعرفه عن تلك الفتاة

"نوريس فينابلز" :

- لا شيء بالمرّة .. سوى أنها بارعة في تأليف القصص المسرحية ..

وعندئذ قال الألماني إنه قد تذكر " ستاندش " ، فقد كان يعمل بإدارة

المخابرات منذ عام ، فقال الروسي وقد ازداد تقطيعه :

- ذلك يجعل للأمر وجها آخر .. لقد كنت أعتقد أن إمامنا عصبية من

الهواة الحمقى ..

فقال " ستاندش " : ولكنني تركت هذا العمل في العام الماضي ..

- هراء .. ما الذي أتى بك إلى هنا الليلة ..

- لقد كان الدكتور " بلغاج " هو الذي دعاني إلى حضور الاجتماع .

- وبعد ذلك وقفت مع زملائك في الحديقة تتجسس علينا ..

- لقد سمعنا صرخة الفتاة ..

- كان ذلك بعد عشرين دقيقة من فض الاجتماع ايها الكاتب اللعين ..
وقد كانت هذه الفتاة هي الشرك الذي نصبته لكم .. إذ كنت واثقا من
وجودكم في الحديقة ..

وكان "لوبين" يضحك في سخرية ، فجن جنون الروسي وصاح
بالاسباني:

- جريهم من اسلحتهم يا "كورتيز" ..

ثم تحول إلى "لوبين" صائحا :

- ايها الإنجليزي الاحمق .. هل تظن في نفسك القدرة على اعتراض
سبيلي..

حسنا .. سوف تلقى جزاء حماقتك هذه .. وسوف تموت وزملاؤك
ميتة بطيئة شنيعة .. سحقا لك الا تكف عن هذا الابتسام ..

ورفع يده في غضب ثم اهوى بها على وجه "لوبين" في صفة
مدوية .. ثم اشار إلى الاسباني ثانية ليحل وثاق "جريجسون" ..

وكانت عينا "لوبين" تقدحان شررا وهو يقول :

- لقد حدث لي ذلك مرة واحدة قبل ذلك .. اما الرجل الذي فعل بي
ذلك فقد قتلتته ..

ولم يجبه الروسي .. وبعد لحظة كان الباب يوصد في عنف خلف
رجال العصابة ..

وعندئذ قال "لوبين" فجأة :

- إن هذا الرجل ليس اسبانيا ، بل هو مكسيكي ..

فنظر إليه الثلاثة الآخرون في حيرة ، على حين قال "داريل" :

- مامعنى ذلك بحق السماء ..

- لقد استطعت أن افك رموز الرسالة السرية .

فصاح الجميع دهشة ، بينما استطرد "لوبين" .

- أجل .. لقد عرفت السر .. ولكنني عرفته بعد أن حبسنا هنا
كالجرذان..

انحنى رئيس الخدم في فندق " ريتز كارلتون " امام الزائر العظيم الذي يتناول العشاء في حجرة خاصة ، وهو يقول :

- لعل كل شيء على مايريده مولاي ..

- شكرا يا " هنري " .. إن كل شيء على مايرام كالعادة ، فدع صديقي

يحضر إلى هنا فور وصوله ..

فانحنى الخادم ثانية في احترام بالغ ، امام الرجل الذي كانت ثروته

معروفة بانها تحاكي مايروى في الاساطير الخرافية ..

ظل الرجل وحده في الحجرة وعيناه تستقران بين أن وآخر على

الساعة الموضوعة على المدفأة امامه .. كانتا عينيْن شديديتي العمق ..

نواتي لون أزرق باهت .. ولكن فيهما من القوة بحيث لايقوى احد على

مواجهتهما طويلا .. عيانان تجعلان " إيفور كالنسكي " واحدا من اقوى

الشخصيات في اوروبا كلها ..

انتهى من عشاءه ، واشعل لفافة راح يدخنها في تمهل وقد غاص في

لجنة من التفكير .. فقد كان " إيفور كالنسكي " يواجه إحدى العضلات الكبرى التي واجهها في حياته .. كان يريد أن يقطع برأي في هذه العضلة ، وهي هل يجب أن تقوم حروب اوروبية ثانية ام لا ؟ وكان يرى أن عليه هو أن يتخذ هذا القرار ..

وقرر الباب ، فتحول " كالنسكي " نحوه يأمر رئيس الخدم بالدخول ، فإذا خلفه رجل ضئيل الجسم يحمل حقيبة صغيرة متفخخة بالأوراق .. قدمه الخادم قائلا :

- السير " جيمس بورتريش " ياسيدي ..

وظل " كالنسكي " في خلوة مع ضيفه أكثر من ساعة انصرف الضيف على إثرها وهو يقول في ضيق وقلق :

- سوف اعرض الأمر على رئيس الوزراء يامستر " كالنسكي " .. وعسى أن أستطيع رؤيتك مرة أخرى قبل أن تبارح إنجلترا ..

وعاد " كالنسكي " إلى خلوته وهو يفكر في حديثه مع سير " جيمس " وزير الدفاع في إنجلترا .. لقد أوحى إليه أن حربا جديدة توشك أن تقع ، وأن على بريطانيا العظمى أن تتاهب لها ، وأن تولي شؤون الطيران كل اهتمامها ، وعرض أن يقدم للإنجليز قرضا قدره ثلاثون مليوناً من الجنيهات لتشييد مصانع جديدة للطائرات ..

ولم يمكث وحده طويلا .. فقد قدم زائر آخر لمقابلته ولم يكن سوى الألماني "فايت" .. فحججه " كالنسكي " بنظرة طويلة بينما كان الألماني يملأ قنجه بالشراب ويشعل لفافة .. ومالئث أن قال :

- لقد فهمت من خطابك يا " هرفايت " أن لديك شيئا بالغ الأهمية تريد أن تفضي به إلي .. فما هو ..

- هل لي أن أفهم ياسيدي أن الحالة في أوروبا قد بلغت حدا كبيرا من التوتر ..

وأن أية معلومات سرية عن الشؤون العسكرية لها قيمتها الآن .. ؟

- هذا ماسوف أقطع فيه برأي الآن عندما أسمع مالدك ..

- الواقع ياسيدي أنه سوف يكون لدي بعد يومين أهم الأسرار

العسكرية في إنجلترا .. وأشدّها خفاء فهل في وسعي أن اعتمد على مكافأتك لي بسخاء إذا جئت بك بهذا السر ، كما حدث في حالة " ماريو مارتيني " ؟ ..

- إنني أذكر هذه المسألة جيدا .. وقد نلت فيها مني مبلغا عظيما ..
- حسنا .. إن الأسرار العسكرية التي سوف أتدك بها لا تقل أهمية عن سر الغواصة الإيطالية ..

- إذا كان الأمر كذلك يا هر " فايت " فأني أستطيع أن أضمن لك خمسة وعشرين ألفا من الجنيهات ..
فهز " فايت " رأسه وقال :

- إنها لا تكفي ياسيدي .. فإن لي شريكا يعمل معي من مبدأ الأمر ، وقد مر بنا من الأخطار حتى الآن ما ترتعد منه الفرائص ، وما زلنا مهددين بأخطار أخرى جسيمة .. فهلا جعلتها خمسة وعشرين ألفا لكل منا ..

ففكر " كالنسكي " قليلا ثم قال :

- حسنا يا هر " فايت " .. سوف أعطيك خمسين ألفا ، على أن يكون لي تقدير الأهمية الحقيقية لما تاتيني به ..

- إذن اصنع إلي ياسيدي .. إنك ولا ريب تعرف جمعية " المفتاح الفضي " ، ومدى نشاطها الآن .. فاسمع تفاصيل ما فعلته حتى الآن ..

لقد بدأت القصة في " وارسو " منذ شهرين ، مع رجل يدعى " بول جريجوروف " ، فقد كان يجلس في ردهة فندق هناك ذات يوم عندما شعر بوجود رجلين على المائدة المجاورة له يتحدثان بالإنجليزية ، وكان أحدهما إنجليزيا والآخر بولنديا .. وقد لاحظ أن كلا منهما يضع مفتاحا فضيا في ياقة معطفه ، فلم يبال بهما خصوصا وإن مظهرهما كان يدل على الغباء الخلق به أعضاء هذه الجمعية المضحكة .. ولكن كلمة واحدة سمعها منهما جعلته يولييهما كل اهتمامه ، وكانت هذه الكلمة هي " الغاز " ..

ولم يستطع سماع بقية حديثهما ، ولكنه أراد أن يعرف الحقيقة

فاوعز إلى البوليس أن يقبض على الإنجليزي لأمر يختص بالتحري
عن جواز سفره ، ومالبث أن زاره في السجن بعد أن وضع في معطفه
المفتاح المعهود ..

وابتهج الرجل إذ وجد زميلا له في الجمعية يعنى بأمره .. فلما
استطاع هذا الزميل أن يتدخل لدى البوليس بنفوذه ويطلق سراح
الإنجليزي ، كان شكره وعرفانه بالجميل لايعرف حدودا .. والواقع أنه
لم يمض نصف الساعة حتى عرف " جريجوروف " القصة بحذافيرها ..
كان هذا الشاب الإنجليزي كيميائيا .. وكان يعمل مساعدا لرجل في
انجلترا يعمل منذ عدة أشهر في اختراع نوع جديد من الغاز .. ولكنه
ليس كهذه الأنواع التي تظهر ثم تختفي ، وإنما هو غاز لا لون له ولا
رائحة ، أخف من الهواء قليلا ، لايعقب ضررا بعد انتهاء أثره ، وهو
أثر عجيب حقا إذ يصيب الأعضاء كلها بشلل كامل بحيث لايستطيع
المرء أن يتكلم أو يتحرك ، وإن كان يشعر بكل مايدور حوله .. وتتوقف
مدة هذا الشلل على كمية الغاز المستعملة ، وهي عادة بين عشر دقائق
ونصف الساعة .. ولكن أهم مافي الأمر أن الإنسان لايعرف انتشار
الغاز في الهواء إلا بعد أن يحدث أثره ، وعندئذ يكون من العبث أن
يقاومه ..

فلما أدرك " جريجوروف " أهمية المعلومات التي باح له الرجل بها ،
ظل يتودد إليه حتى عرف أن ذلك المخترع رجل يدعى " والدرون " وهو
كيميائي وفي الوقت نفسه ضابط بسلاح المهندسين البريطانيين .. وكان
أن أدرك أيضا أن هذا الاختراع من الشؤون العسكرية البالغة السرية ،
وأن هيئة أركان الحرب تهتم به كثيرا وتنتظر انتهاء المخترع من
تجاربه إذ أعلن أنه سوف يضع اختراعه تحت تصرف الحكومة ، وهو
أمر لم يرق لمساعدته إذ كان عضوا متحمسا بجمعية "المفتاح الفضي" ..
ولم يكن " جريجوروف " يهتم بهذا الأمر لقيمته الحربية ، وإنما كان
يفكر في فائدة هذا الغاز في شل حراك رجل معين في حجرة فندق
مثلا.. فقد كان " جريجوروف " قاتلا محترفا ، ولصا عريقا في الإجرام..

وعرف " جريجوروف " المزيد من المعلومات ، وعرف بالمثل ان هذا الغاز زهيد التكاليف ، يمكن ضغطه في اسطوانات من الصلب ، من اي حجم .. ولكن ذلك الشاب المنكود لم يكن يعرف طريقة تركيبه ، إذ ظل المخترع محتفظا لنفسه ، ولنفسه فقط ، بنقطة او اثنين من مراحل التركيب .. فاعتزم " جريجوروف " ان يتولى الامر بنفسه .

وكان الشاب ، طبقا للمبادئ الحماسية لجمعيةته المضحكة ينوي ان ينتظر حتى يعرف ماخفي عليه من طريقة تركيب الغاز ثم ينشرها في العالم .. ولكن الشاب المسكين لم يكد يفضي بما لديه لـ " جريجوروف " حتى اصيب بحادث مفاجئ .. اعني لم يكن في حسبانها ، إذ سقط امام احد القطارات السريعة ، وبذلك اختفى من المسرح ..

فابتسم " كالنسكي " وقال : لحساب من يعمل " جريجوروف " هذا ؟
- لنفسه خاصة ياسيدي ..

- اهو الرجل الذي قلت : إنه شريك في هذه الصفقة ..

- إنه هو نفسه .. وكان هذا هو الموقف عندما اتصل بي " جريجوروف " .. وكان باعته في ذلك شيئين ؛ اولهما ان العمل لم يكن مما يقوم به رجل فرد ، والثاني انه سبق لي العمل في إنجلترا .. وسرعان ما اتفقنا على خطة للعمل .. وقد كان الامر سهلا من حيث إن هذا المخترع يعيش بمفرده مع خادم شمطاء ، كما انه في إجازة طويلة، بحيث لن يفتقده أحد إذا اختطفناه .. ولكن الامر ازداد صعوبة منذ علمنا انه واسع الثراء ، اي اننا لن نستطيع ان نشتريه بالمال .. فلم يكن امامنا إلا ان نختطفه ونبقيه طويلا بين ايدينا حتى يمكن ان تؤثر فيه وسائل التعذيب المختلفة فيبوح لنا بسر اختراعه .. وعندئذ كان يتعين علينا ان نجد مكانا ملائما ، كمنزل في الريف او مايشبه ذلك .. ومالبثت ان اتصلت بشخص يدعى الدكتور " بلفاج " يملك قصرا في كمبردج " به حجرة داخلية للعمليات لاينفذ منها صوت ، تلائم غرضنا كل الملاعبة، فضلا عن ان هذا الطبيب ، وقد عرفته من قبل ، من اشد اعضاء جمعية " المفتاح الفضي " حماسة لاغراض الجمعية ..

فلما اتفقنا على ذلك مضينا إلى إنجلترا من طريقين مختلفين ،
فبقي "جريجوروف" في "لندن" ، بينما ذهبنا إلى "كمبردج" ..
وعندئذ فوجئنا بأول عقبة إذ إن الطبيب كان قد أجر قصره إلى رجل
يدعى "مريديت" .. وكما كان أشد عجبى عندما تبين أن "مريديت"
هذا، بالاشتراك مع الطبيب ، كانا يسعيان وراء "الدرون" المخترع
نفسه ، بل إنهما قد اختطفاه فعلا واتخذاه منذ أكثر من عشرة أيام
أسيرا لدى جمعية "المفتاح الفضي" .. وقد راحا يحاولان إرغامه على
الإفشاء إليهما بسر صنع الغاز .. وقد أخبرني الطبيب بعد تردد
يسير أن غرضه من ذلك نشر طريقة صنعه بين الدول الأخرى طبقا
لمبادئ الجمعية .. ولكني كنت أعرف الرجل جيدا فصحت به :

- هل أنت كاتب أم أحمق .. ؟ أنظرنى اصدق أنك تعتنق مثل هذه
المبادئ السامية لوجه الله ..

فلما أدرك أنني لست ممن يخدعون بسهولة ، لم يلبث أن اعترف لي
بالحقيقة.. تلك هي أن "الدرون" قد أودع منزلا منعزلا يملكه عضو
آخر من أعضاء الجمعية ، وهو عجوز متحمس يدعى "هوسكنز" ..
وكان المفترض أن يطلق سراح "الدرون" بعد أن يفضي إليهم بالسر ،
ولكن الحقيقة هي أن "فايت" و "مريديت" كانا يزعمان قتله والاستيلاء
على السر لنفسيهما وبيعه لإحدى الدول العظمى الأجنبية .. وعندئذ
قلت للطبيب إن العملية أضخم من أن يقوم بها بمفرده مع "مريديت"
- وقد اتضح أنه رجل بارع في التزوير وكانت مهمته أن يكتب
خطابات على لسان "الدرون" - وأنه يجب أن يشركني معه فيها .. ثم
عدت أسأله عما ينويان عمله بـ "هوسكنز" وهل ينويان قتله حتى
لايطالبهما بإذاعة سر الغاز .. وعندئذ علمت ياسيدي بشيء آخر لا يقل
أهمية عن هذا السر..

وقد قلت لك في مبدأ الأمر : إنني سآزودك بسررين عسكريين
خطيرين.. أحدهما هو هذا الغاز ، وأما الثاني فهو يختص بطائرة
جديدة اخترعها رجل اسكتلندي يقيم في منطقة الجبال ويدعى

جراهام كالدويل " .. وقد فهمت أن محرك الطائرة يبلغ من القوة عشرة أمثال أية طائرة موجودة في الوقت الحاضر .. وكان الرجل يقوم بهذا العمل لحسابه الخاص ، دون معاونه من الحكومة ، ولا يعمل معه سوى رجلين من العمال ورجل ميكانيكي موثوق به .. وكانت هذه المسألة هي التي يهتم بها الدكتور " بلفاج " كل الاهتمام ..

وكان قد علم بهذا السر من أحد العاملين ، وهو عضو عادي في جمعية "المفتاح الفضي " ، كما علم بأن بعض التفاصيل الأخيرة لم تتم بعد ، وعندما تتم تكون رسوم الطائرة قد اعدت نهائياً .. وكان الدكتور " بلفاج " ينتظر هذه الخطوة ..

ولم يكن " هوسكنز " يعرف هذا السر ، فكانت خطة الطبيب وشريكه "مريدت" سهلة .. وقد فاتني أن أخبرك ياسيدي بأنه عند اختطاف "الدرون" وجدت لديه أسطوانة صغيرة من الغاز الذي اخترعه ، فكانت خطة الطبيب هي أن يعطي الأسطوانة للعامل الإسكتلندي فيضعها في حجرة " كالدويل " والميكانيكي ، حتى إذا أصبحا لا يستطيعان الحراك سرق الطبيب رسوم الطائرة ومضى بها .. ولم يكن " هوسكنز " يعرف شيئاً عن هذه الأسطوانة ، وإنما أخفاها الطبيب عندما عثر عليها ساعة اختطاف " والدرون " ، لعلمه بأنها ستفيد في سرقة سر الطائرة .. فالطبيب و "مريدت" كانا يهتمان قبل كل شيء بهذا السر ، ويرجوان بعد ذلك أن يستطيعا الحصول على سر الغاز، ولكن ذلك كان في المحل الثاني بالنسبة إليهما ..

ولذلك ترى ياسيدي أن دوري ودور " جريجوروف " كان ينحصر في الانتظار ، وما على الدكتور " بلفاج " إلا أن يقدمنا إلى ذلك المغفل "هوسكنز" على أننا عضوان في جمعية " المفتاح الفضي " حضرنا من ألمانيا وروسيا للحصول على سر الغاز وإبلاغه لحكومتنا ..

وقد فاتني أن أخبرك بأن " والدرون " لم يودع منزل الطبيب في "كمبردج" ، وإنما سجن في أقبية قصر يملكه "هوسكنز" ويدعى (جسر الجواد) .. وهو قصر عتيق تحيط به قناة عريضة من الماء العميق

ولا يمكن الوصول إليه إلا بواسطة قنطرة معلقة .

وراعني من " هوسكنز " هذا ان حماسته لمبادئ " المفتاح الفضي " قد جعلته يلجا إلى اساليب غاية في القسوة والوحشية مع " والدرون " .. ومع ذلك فإنك إذا رأيته رايت رجلا وقورا يكلل هامته تاج من الشعر الناصع البياض ، ويضع على انفه المقوس عوينات ذهبية .. وقد رحب بنا عندما قمنا الطبيب إليه وقال:

- يمكنكما ان تقيما في المنزل كيف شئتما .. فإن هذا اللعين " والدرون " شديد العناد ، يرفض الكلام حتى لقد فكرت في انه ينبغي أن يقتل .. فمن الخير ان يموت فرد من ان تهلك الالوف باختراعه الشيطاني .. وقد حاولت ان اقنعه بجادة الصواب ، وشرحت له مبادئنا السامية ولكنه لم يزد على ان اتهمني بانني خائن لوطني .. ولكنني لست في شك من النتيجة الأخيرة ، فإن احدا لا يستطيع ان يقاوم ذلك العقار المكسيكي طويلا .

وبخل الحجرة وقتئذ رجل طويل القامة اسمر البشرة ، فقال " هوسكنز ":

- حدثهم يا كورتيز " عن ذلك العقار ، فهم من اعضاء الجمعية مثلنا ..

فغمغم الاسباني قائلا : هذا العقار مادة تسمى " ماري جوانا " .. فما كاد " جريجوروف " يسمع هذا الاسم حتى صفر بشفتيه .. فقد كان هذا العقار معروفا لتجار المخدرات باسم " ماري جان " وكانت خاصيته انه يجرد الرجل من اي شعور ويحيله كومة مهدومة من الاعصاب المنهارة .. فإذا ادمنه شخص فإنه لا يلبث ان ينتهي به إلى الانتحار او الجنون ..

وكان هذا العقار هو الذي يحقن به " هوسكنز " الطبيب اسيره يوميا ..

وكانت خطتي و " جريجوروف " ياسيدي هي ان ناخذ اسطوانة الغاز والطبيب معنا إلى " اسكتلندا " ، فإذا تم لنا تخدير " جراهام

كالدويل " وزميله سرقنا رسوم الطائرة واشعلنا النار في الكوخ ، ثم في الحظيرة التي كان بها نموذج الطائرة الجديدة وبذلك لايعرف سرها احد بعد ذلك .. اما " بلفاج " .. حسنا .. إن الطرق في " اسكتلندا " شديدة الوعورة تكثر فيها الحوادث .. وكان علينا ان نعود بعد ذلك إلى قصر (جسر الجواد) فنحصل على سر الغاز ونتخلص من " هوسكنز " والاسباني " كورتيز " والمخترع " والدرون " نفسه .

وتمهل " إميل فايت " ريثما جرع كاسا جديدة من الشراب واشعل لفاقة، ثم أريف :

- كان هذا يامستر " كالنسكي " ما قد عقدنا العزم عليه لولا ان تطور الموقف تطورا خطيرا .. إذ حدث منذ أربعة أيام ان كان " جريجوروف " واقفا في إحدى النوافذ عندما رأى رجلا يحوم حول القصر ، عرف فيه للتو احد ضباط المخابرات السرية ، وكان قد راه في " وارسو " عندما اتصل بذلك الشاب الإنجليزي الذي عرف منه سر الغاز .. ولأريب في ان هذا الضابط ، ويدعى "جنجر لوفليس" كان على بينة من الأمر وتبع " جريجوروف " إلى إنجلترا .

فاضطر شريكى إلى العمل سريعا ، فتسلل خلف الرجل وضربه بهراوة على رأسه ألقتة فاقد الرشيد ، ومن ثم حملناه إلى حجرتي .. ولم يكن في وسعنا ان نسجنه في القصر حتى لايعلم " هوسكنز " بالأمر ، ولذلك عولنا على نقله إلى قصر الدكتور " بلفاج " في " كمبردج " ويسمى "هارتلي كورت " لنسجنه في حجرة العمليات الداخلية .. فحقنته بمادة مخدرة ، وأخذته في سيارتي مع رجل آخر من أتباعي في أثناء الليل وكان الضباب كثيفا حتى اضطررنا إلى السير في بطمه .. ولكن "كوفليس" أفاق من اثر المخدر في أثناء الطريق فتسلل من السيارة ولكني شعرت به ، وأطلقت عليه رصاصة أصابته، ولكننا لم نجده ثانية إلا بعد ان ألقى برسالة سرية في احد الاكواخ هناك .. وقد فتشنا الكوخ فلم نجدها ولكن الشخص الذي عثر عليها ، هو رجل صعب المراس صلب العود يدعى المستر " ارلو " بدا يضايقنا هو وثلة

من أصدقائه حتى استطعنا أن نوقع بهم في الشرك ، ولكن بعد أن
كلفنا ذلك غاليا ، إذ اضطررنا إلى استخدام غاز " والدرون " معهم ،
وبذلك لم يعد لدينا شيء منه، وقد اثبتت هذه التجربة أن الغاز قد أتى
بجميع النتائج المرجوة منه ، وأنه يستحق العناء الذي يبذل في
سبيل الحصول على طريقة تركيبه.. وبذلك ايقنا بأنه لم يبق أمامنا
مناص من استخدام وسيلة أخرى مع "جراهام كالدويل " وزميله غير
طريقة التخدير التي كنا ننوي استخدام غاز " والدرون " فيها .. ومهما
يكن من الأمر فإنني سوف أتيك بهذين الاختراعين يامستر "كالنسكي"
لقاء المبلغ الذي اتفقنا عليه .. ولكنني أرجو الآن أن تعطيني مبلغا
لحساب هذه الصفقة حتى يمكن مواجهة النفقات العاجلة .

فاخذ " كالنسكي " إلى الصمت لحظة ومالبث أن قال :

- سوف أحبك في صراحة يا هر" فايت " سأعطيك عندما تقدم لي
سر الاختراعين معا عشرة آلاف من الخمسين .. حتى إذا ماتت بعد
فحصهما من فائدتهم أعطيتك خمسة عشر أخرى .. وأما الخمسة
والعشرون ألفا الباقية فلن تنالها يا هر" فايت " إلا بعد أن يتحقق لدي
بادلة حاسمة أنني وحدي الذي أملك هذا السر ، وأنه لم يتسرب إلى
أية دولة أخرى وسوف أعطيك الآن خمسة آلاف للنفقات العاجلة ، دون
أن أخصمها من المبلغ الذي اتفقنا عليه .. فما رأيك ؟ .

-إنك كريم ياسيدي .. وإنني أمثل لشروطك هذه بحذافيرها .

- شكرا .. وأنت تعرف عنواني ببباريس ، فما عليك إلا أن توافيني
بالرسوم والتفاصيل هناك .

وتناول " فايت " المبلغ ، ثم انحنى في احترام بالغ ، وغامر الحجرة ..
ووقف أمام مدخل الفندق الكبير يتأمل قليلا في الحركة الصاخبة
التي تضطرم في الميدان ويفكر في الاتفاق الذي عقده مع " كالنسكي " ،
عندما سمع فجأة صوتا يقول خلفه بالألمانية :

- هل كانت أمسية موفقة يا هر" فايت " .

فاستدار دفعة واحدة كأنما أصيب بلطمة على رأسه ، ولكنه لم ير

سوى احد عمال الفندق يرتدي حلة زاهية ، ويقول في صوت رقيق :

- هل احضر لك سيارة ياسيدي ..

- لا .. ولكن الم تسمع احدا يتحدث إلي الآن بالالمانية ..

فرفع الرجل حاجبيه دهشة ، وقال :

- الالمانية ياسيدي .. هذا امر عجيب حقا ..

فزمجر " فايت " ثم تحول إلى الدرج ومالبث أن مضى في سبيله ،

وقد احس بقلق خفي فعلى الرغم من أن الكلمات كانت المانية ، إلا أن

لهجة قائلها كانت إنجليزية ..

- ٧ -

لم يكد "فايت" يلج ربهة فندقه ، حتى وجد "جريجوروف" جالسا في انتظاره ، وقد بدت على محياه علامات القلق .. ومالبث الروسي أن ابتدره قائلا:

- هل قرأت الصحف المسائية ..

- لا .. ولم أرها بعد .

- إذن اقرا هذه ..

وأشار الروسي إلى فقرة راح يقرأها في إمعان ، وقد ثارت دهشته.. وكان عنوانها " قصر رييفي تدمره النيران " " قلة المياه تعرقل أعمال رجال المطافي " .

وجاء في الفقرة بعد ذلك أن النار شبت في قصر " هارتلي كورت " بكمبردج، فدمرته تدميرا في الساعات الأولى من الصباح وقد ذهبت جهود رجال المطافي هباء نظرا لقلة المياه في تلك المنطقة .. ولم يعرف بعد سبب الحريق ، ولكن يرجح أنه بسبب تماس في الأسلاك

الكهربائية، وساعد على شربوها أن القصر كان خاليا من ساكنيه فلم ير أحد النار إلا بعد أن اندلعت وحمي أوارها .. وأضافت الصحيفة أنه اكتشفت بقايا عظام بشرية بين الحطام ولكن تبين أيضا أن مالك القصر الدكتور " بلفاج " كان يحتفظ ببعض الهياكل البشرية الكاملة لأغراض علمية تتصل بمهنته ..

فوضع " فايت " الصحيفة جانبا ، واشعل لفافة ، ثم قال :

- إلى أي حد يؤثر هذا الحادث في عملنا ..

- لا شيء حتى الآن ، مالم يكتشف البوليس حقيقة هذه العظام .. واشد ما أخافه أن يكون بجانبها ماينم عن شخصية أصحابها .. وعندئذ سوف يرى "مريدت " نفسه يواجه موقفا خطيرا ، فيعتمد إلى الاعتراف بالحقيقة لرجال البوليس ، ويوقع بنا لينجو بنفسه .

- إنه لايجرؤ على ذلك مالم يوقع بنفسه بالمثل .. ولعل خير مايقال في هذا الشأن أنه لايعرف شيئا عن هؤلاء الناس الذين سطوا على القصر في غيبته..

- ربما تتطور الأمور فيعجز " مريدت " وذلك الطبيب المافون "بلفاج" عن المقاومة ويعترفان بكل شيء ..

- صدقت ويجب أن نرى رأينا في هذين الغبيين ، وكذلك في الأسباني "كورتيز " ، ولكن اصغ إلي أولا ..

ومضى يقص عليه نبا الاتفاق الذي عقده مع " كالنسكي " .. ثم أرفف:

- وقد كنت أحب أن نذهب وحدنا إلى " اسكتلندا " لنحصل على رسوم الطائرة ، ولكني أخشى إذا فعلنا ذلك أن يبلغ " مريدت " الأمر إلى رجال البوليس بخطاب غفل عن الإمضاء فنضبط متلبسين بجريمتنا.. وكذلك فإن أهل الجبال في تلك المنطقة ينفرون من الأجانب ويميزونهم على بعد ميل .. ولذا أرى أن نذهب جميعا إلى هناك .. ولا تنس أن علينا أن نتخلص من " جراهام كالدويل " وزميله دون أن نثير الشكوك حولنا .. فإذا استطعنا أن نقتلهاما بحيث يقع عبء الجريمة

على " مريديت " والطبيب ، كان ذلك خير وسيلة لنجاتنا من مضايقتهما ..

إنها فكرة عظيمة يا " إميل " ، ولكن هل يمكن تنفيذها ؟ .

- نعم ، بشرط أن نأتي بالرجلين إلى " جسر الجواد " .

- وكيف يمكنك بحق السماء أن تحضرهما من " اسكتلندا " إلى هناك .. مع أن " مريديت " والطبيب يريدان أن يبقى هذا السر بعيدا عن " هوسكنز " .

- وما الذي يجعل " هوسكنز " يعلم به . سوف تكون الرسوم معنا وحدنا ، ويمكننا أن نزعم له أننا ننسخ منها صوراً لتوزيعها على الدول ، وبذلك يبقى ساكناً .. أما " مريديت " والطبيب فيمكن أن نزعم لهما أننا ننتظر حتى ييوح " والدرون " بسر الغاز ثم نبيع الاختراعين معا صفقة واحدة .

- وكيف يمكننا الخلاص بعد ذلك ..

بطريقة سهلة .. فسوف نحقق " جراهام " والميكانيكي و " والدرون " بكمية كبيرة من المورفين تقضي عليهم .. ولما كان الطبيب دائماً ثملاً لا يعي فسوف يظن هو ، وبقية زملائه معه ، أنه هو الذي قتلهم خطأ .. وفي غمار هذه الفوضى يمكننا أن نخفي من المكان ونترك الطبيب و " مريديت " و " هوسكنز " يتخبطون في كيفية الخلاص من الجثث الثلاث .

ومضى " فايت " يحضر حقيبته ويضعها في السيارة ، فلما درجت بهما في شوارع " لندن " كان الليل قد انتصف .

وكان الطريق طويلاً إلى " جسر الجواد " .. إذ وصلا إلى القصر بعد أن شرقت الشمس .. فتسللا إلى الداخل وفي عزمهما أن يأويا إلى حجرتهما .. ولكنهما وقفا في البهو قليلاً حيث صب " جريجوروف " لنفسه كأساً من الشراب بينما وقف " فايت " في النافذة يتأمل المروج المجاورة .. فهتف فجأة:

- " جريجوروف " .. تعال إلى هنا ..

كانت الحشائش تعلقو راسيهما .. ولكن " جريجوروف " استطاع ان يرى القصر خلال فرجة فيها .. فامسك بزنار الالمانى في قوة وغمغم :
- انظر إلى تلك النافذة يا " إميل " ..

فقد كانت امرأة تقف في النافذة منحنية إلى الامام تحقق ناحيتهم . ولم تكن تلك المرأة سوى مس " دوريس فينابلز " ..

كان الطبيب قد غفل عن حقن الفتاة بالمخدر في الموعد المناسب ، فافاقت من تأثيره ووقفت في النافذة تستنشق هواء الصباح .. او هكذا قالت : - " جريجوروف " و " فايت " عندما اقترحا حجرتها بعد قليل وراحا يستجوبانها .. وهي لا تعرف شيئا عن حقيقة الرجل الذي كان مختفيا بين الحشائش ، بل لاتعرف بوجوده قط ، وبالمثل لا تعلم شيئا عن هذا المكان الذي سجننت فيه .. وهي لاتزال تصر على انها عضو بجمعية " المفتاح الفضي " وان حماسها لمبادئ الجمعية هي التي جعلتها تعمل مع " مريدت " واصدقائه ..

ولكن " فايت " لم يقتنع بهذا القول ، وامسك بالفتاة يجرها نحو الباب، فصاحت به :

- إلى أين تقودني أيها الوحش .. ؟

- لقد كنت شديدة الفضول إلى معرفة مركز قيادتنا ، ولذلك سوف أريك بعض حجراته السفلى .. وستظلين سجيئة في الاقبية الرطبة حتى تبوحى لنا بحقيقتك ..

وعندئذ وقع بغتة امر مفاجئ ، إذ ظهر في باب الحجرة شاب يترنح كالثمل وقد شحب وجهه شحوبا شديدا ، وحول رأسه عصابة قنرة .. فلم تملك الفتاة نفسها عن أن تصيح :

- " تومي " .. عزيزي " تومي " .. ماذا فعلوا بك أيها الحبيب ..

فغمغم الشاب في صوت خافت ضعيف :

- لقد سمعت صوتك يا " دوريس " ، فجئت لأراك .

وبدا الاهتمام في وجه الالمانى فقال :

- أرى أنك تعرفين الكابتن " لوفليس " معرفة وثيقة يا عزيزتي ..

فصاحت به الفتاة في تحد :

- إنه خطيبي ايها الوغد ..

- اه .. إذن فقد زعمت انك عضو بالجمعية كي تحاولي إنقاذه ..

- نعم .. ولو كانت لديك ذرة من الشهامة لأخليت سبيلي ..

وتحول إلى الضابط فقال له :

- هل لك أن تخبرني عن حقيقة معنى هذه الرسالة الغريبة .. إنني

لم أفقه معنى لهذه الكلمات " روزماري ب ج س د و ر " فلماذا عنيت

بها ؟ .

فنظر إليه " لوفليس " في دهشة وغمغم :

- " روزماري " . إنني لا أفهم شيئاً ..

ولكنه صمت فجأة ، وما لبث أن أرفف :

- إنني لا أذكر شيئاً .. فالأمر كله كالحلم ..

وضاق " فايت " ذرعاً بالاثنتين فحقن " لوفليس " بالمخدر في ذراعه ،

على حين دفع الفتاة في عنف إلى خارج الحجرة ، فاجتازت ردهات

طويلة قبل أن تقف أمام باب ضخم من الحديد فتحة " فايت " ، وبفعها

أمامه إلى درج حجري ضيق فراحته تهبطه في بطء وحذر .. وكانت

قطرات الماء تتساقط فوق رأسها من السقف على حين كانت رائحة

الرطوبة العفنة تنبعث من الأسفل قوية حادة خانقة .

وكانت لاتكاد ترى ما أمامها لحلكة الظلام ، ولكن عينيها اعتادت ذلك

بعد قليل ، فإذا بها ترى في ركن من القبو فراشا من القش رقد عليه

رجل يتململ في ألم وصليل السلاسل ينبعث من ناحيته كلما تحرك...

وكان يقف إلى جانبه شيخ أشيب الرأس يضع عوينات ذهبية على

أنفه المقوس .. ولم يكن سوى " هوسكنز " وكان يصيح بالأسير :

- ألا تتكلم ايها الشرير .. أفض إلي بسر هذا الغاز الذي اخترعته

حتى يعرفه العالم ..

فاجاب المسكين في صوت خافت :

- لن أتكلم بشيء .. فدعني وشأني ايها الرجل الخائن وطنه ..

- الوطن .. ما الوطن أيها الغبي .. إن الوطن هو العالم كله متى سادته السلام ..

وعند هذه العبارة وقع بغتة أمر يكاد يشبه الخوارق .. فقد انبعثت ضحكة مدوية من مكان مافي أعلى الدرج .. ضحكة مليئة بالسخرية والتهكم ..

فانتفض "فايت" وتلفت حواليه وهو يسأل في صوت متهدج :
- من الذي ضحك هكذا ؟ .

ولم يجبه أحد على سؤاله .. وفي اللحظة نفسها كان "مريديت" يهبط الدرج في عجل وانتحى بـ "فايت" و "جريجوروف" جانبا وراح يهمس لهما بكلام طويل ..

وكان الجميع منصرفين عن الفتاة وهي تقف وحدها بجوار "والدرون" التعس .. وعندئذ أحست بيد تلمس كتفها في الظلام أجفلت وكانت تنبعث من فمها صرخة حادة ولكنها حبستها في حلقها إذ سمعت صوتا يهمس في أذنها: - إنني صديق يا "دوريس" .. فدعي "والدرون" يطاولهم قليلا ويعدمهم بإفشاء سره .

فقطاهرت الفتاة بالإغماء وسقطت على الأرض بجوار "والدرون" ومالبثت أن همست للمخترع بهذه الرسالة الغريبة .

فلما فرغ "فايت" من حديثه مع "مريديت" ، كان يبدو وكأنه في عجلة من أمره ، إذ قال لـ "هوسكنز" : قل للدكتور "بلغاج" أن يحقن الفتاة بالمخدر ويحملها إلى حجرتها .. أما نحن فليدنا عمل مهم الآن وكان "مريديت" قد أخبره بأن رجلا "إيقوسيا" قد حضر برسالة من ابن عمه الذي يعمل مع "جراهام كالدويل" مخترع الطائرة ، ليخبرهم بأن رسوم الطائرة قد أعدت وأن "جراهام" فرغ من إتمامها .. وعليهم أن يعجلوا بالحضور قبل أن يحمل المخترع رسومه إلى السلطات الحربية .. فتم الاتفاق على أن يذهب "فايت" و "جريجوروف" و "مريديت" و "كورتيز" معا على أن يبقى الطبيب و "هوسكنز" في القصر حتى عودتهم .

- ٨ -

كان الطريق يمتد ميلا بعد ميل فيبدو كشریط ابيض ملتو ، بين الوهاد الجبلية السوداء .. ولم تكن ثمة منازل قريبة من تلك البقعة ، غير خيمة صغيرة ، بجانبها كوخ صغير من الخشب وعلى قيد نحو مائتي متر منهما كوخ خشبي آخر مستطيل الشكل لا نوافذ له ، وبابه عريض بحالة غير مالوفة .

وعلى الرغم من أن الساعة قد بلغت العاشرة مساء ، إلا أن الظلام لم تشتد حلكته بعد ، كعادة هذه الأصقاع الشمالية ، بحيث يكفي الضوء رجلا لأن يقرأ كتابا ..

ولكن الرجل الوحيد الذي كان هنالك وقتئذ ، لم يفكر في القراءة .. بل كان مستلقيا على العشب يتطلع إلى الطريق اللامع وهو ينحني عند الأفق ، خلال منظار مقرب وضعه أمامه على الأرض .. وكان قد قضى في هذا الوضع أكثر من ساعتين ، دون أن يظهر أثر لما كان يرقبه..

وأخيرا تنهد في ارتياح ، ثم وثب على قدميه وراح يطوي المنظار ، ويخفيه في حفرة قريبة ومالبث أن مضى في تمهل إلى جانب الطريق ينتظر السيارة التي رأى أنوارها منذ هنيهة وظل ساعتين يرقب وصولها ووقفت السيارة بجانبه فانبعث منها صوت يقول :

- هل هذا أنت يا " مفكرسون " ؟ .

فاجاب الرجل بلهجة الإيقوسيين الجبليين : اي .. انا نفسي ..

- وما الدليل على ذلك ..

- هذا " المفتاح الفضي " ، شارة الجمعية .. ولكن من أنت .. لقد كنت

انتظر الدكتور " بلفاج " نفسه .

- إنني ادعى " مريديت " ، وإني واصدقائي نعمل لحساب الدكتور

" بلفاج " ولولا انه مريض لحضر معنا .

- حسنا .. إن كل شيء على مايرام ، ولكنني أرجو بعد أن تنتهي

مهمتكم ان تحملوني في سيارتكم إلى قرية " انفرانس " لاقضي ليلتي

هناك ..

ومضى امامهم في الممر المتجه نحو الكوخين ، على حين قال

" مريديت " بعد قليل :

- حسنا .. سوف نأخذك معنا إلى " انفرانس " . ولكن لاتنس اننا

جميعا مسلحون ، وذلك في حالة ماإذا ..

فقال الايقوسي بهدوء : هكذا .. ما الذي تعنيه بذلك ؟ .

وكان الظلام قد أرخى سدوله وغدا كثيفا لا يسمح بالرؤية ، على

حين غغم " جريجوروف " يقول للألماني : هذا الرجل ثرثار يا " إميل " ..

ولكن ما هذا الثوب النسائي الذي يرتديه ..

وقبل ان يجيبه " فايت " ، انبعثت خلفهما قهقهة غريبة ، فدمدم

الروسي حانقا :

- لو ضحكت مني مرة أخرى ايها الاسباني القذر فسوف احطم

راسك ..

فقال " كورتيز " : إنني لم اضحك قط .. ولكن ابعد يديك عني او

اطعنك بخنجري ..

- إنني لم أمسك أيها الجرذ الحقير ..

- ومن الذي فعل ذلك إذن ؟ .. لقد شعرت بيد تمسح على وجهي ..

وكان " مفكرسون " هو الذي أجاب هذه المرة :

- يبدو أن اصداقك يامستر " مريدت " لا يحبون الاشباح التي

تمتلى بها هذه المنطقة .. ولعلمهم على حق في ذلك .. وربما كان من

حسن حظهم - أو من سوءه - أن يسمعوا اللحن الجنائزي الذي تعزفه

هذه الاشباح ..

فغمغم " مريدت " : دعنا نسرع بالله ، فهذا المكان يثير اعصابي ..

وفتح " مفكرسون " باب الكوخ الصغير ، واضاء المصباح وهو

يقول :

- هاكم المخترع " جراهام كالدويل " ، وزميله الميكانيكي ..

وكان الرجلان يجلسان متقابلين إلى المائدة ، وهما يغطان في سبات

عميق، وقد وضعا راسيهما فوق أذرعهما .. على حين كانت امامهما

زجاجة شراب فارغة .. ثم أردف :

- لقد وضعت شيئا ما في شرابهما ..

- حسنا فعلت .. واين الرسوم ..

- في هذا الدرج ، إلى اليسار .. وهي كاملة إذ فرغا منها بالامس

ولذلك بعثت ادعو الدكتور " بلفاج " ..

فاسرع " فايت " واخرج الرسوم من الدرج فدسها في جيبه وعندئذ

قال "مريدت " :

- معذرة يا صديقي .. ليس كلها .. اعطني النصف معي ..

فدمدم " فايت " حائقا : يا لك من احمق .. اتظنني اخادعك ..

فانضم الاسباني إلى " مريدت " في طلب جزء من الرسوم ، ولم يرد

"فايت " أن يثير ريبتهما فاعطى " مريدت " ثلاثة اوراق منها ، وضعها

هذا في جيبه وعلى وجهه علامات الرضا .. وكان الايقوسي ينظر من

نافذة الكوخ وهو يمد ذراعيه امامه ، فصاح به " فايت " :

- ما الذي أصابك أنت الآخر ؟ .

- انظر .. إنه اللهب الراقص .. لهب الموت ..

فسرت القشعريرة في جسم الرجال الأربعة ، على حين استطرد
الإيقوسى:

- سوف تسمعون الآن اللحن الجنائزي ..

وقد صح حدسه .. إذ ارتفعت من بعد أنغام حزينة كانت تنبعث من
(موسيقى القرب) التي اشتهرت بها " سكوتلندا " ..

ولكن " فايت " تغلب على الفزع الذي ألم به ، وقال بعد أن سكنت
الموسيقى:

- مهما يكن الأمر فإننا لن ننصرف حتى نتم مهمتنا .. ولا بد أن
نحرق الطائرة .. فاين هي ؟ .

- هاك حظيرتها هناك .. وقد أعدت البترول ..

- إذن أسرع بنا قبل أن تعود هذه الموسيقى اللعينة .

- إنها لن تعود ثانية .. فإن موكب الأشباح لا يمر هنا إلا مرة واحدة
فقط .

ومضوا جميعا خلفه حتى حظيرة الطائرة ، فراوا جسما كبيرا
داخلها يشبه طائرا يمد جناحيه .. فراح " فايت " و " مريديت " يريان
البترول فوقها وحولها، وبعد لحظة كانت النيران تنلج إلى السماء
في وهج أحمر ساطع .

ولبثوا يرقبون هذا المنظر حتى تحولت الحظيرة إلى رماد فانتننوا
عائدين إلى حيث كان المخترع وزميله .

وكان الظلام قد عاد إلى حلكته بعد أن خبت النار .. وعندئذ سمع
"فايت" وكان يسير في المقدمة ، صوتا مكتوما تبعته صيحة عالية
وسباب متلاحق ، فعاد " فايت " إلى الوراء وهو يحدق في الظلام دون
أن يستطيع رؤية ماحوله.. بينما كان صوت يصيح في حشجة : إلى
القاتل .. إنه يقتلني ..

وكان " جريجوروف " يصيح كوحش كاسر : ايها الحيوان القذر ..

اتريد ان تطعنني بالسكين الآن .. بعد ان حطمت وجهي بالهراوة ..
وكان الاسباني يقول في صوت متحشرج : إنني لم أقرب وجهك ..
ولم أقرب منك البتة .

فاوقف " فايت " عراكهما . وتقدم " مفكرسون " فاضاء مصباحا
كهربائيا راوا على ضوءه الدماء تسيل من وجه " جريجوروف " وقد
تهشم أنفه .

وعاد الروسي يقول :

- من الذي ضربني إذن ؟ ..

فاجاب الاسباني : أقسم انني لم أقربك البتة .

وعندئذ تدخل الايقوسي " مفكرسون " قائلا : ربما كانت روحا
شريرة هي التي فعلت بك ذلك .. ولك أن تحمد الله إذ تركتك على قيد
الحياة .

فراح الروسي يسبه ويسب الأرواح الشريرة معا .. ومالبثوا أن
مضوا جميعا نحو الكوخ الذي به الرجلان فحملوهما إلى الصندوق
الملحق بالسيارة ، وبدأت رحلة العودة تتجه نحو الجنوب ..
فلما تركهم الايقوسي في قرية " انفرانس " ، كان " فايت " هو الذي
يقود السيارة وقد جلس " كورتيز " الاسباني بجانبه على حين جلس
" جريجوروف " و " مريديت " في الجراة الخلفية مع الرجلين الفاقدي
الوعي الصواب .

وكان الليل ساكنا لايعكر صفوه شيء .. كما كانت الرحلة مملة
ثقيلة .. وانتاب الاسباني الملل فاسلم جفونه للنوم وراح يغط في سبات
عميق .. وعندئذ عاد " إميل فايت " يفكر في الخطة التي اعدّها لمثل هذا
الموقف من قبل فاخرج مفتاح المحرك في هدوء ، وضرب به " كورتيز "
فوق مؤخّر رأسه ضربة أودعها كل قوته اصابت من الاسباني مقتلا
فاختلج جسمه مرة واحدة ثم سكن إلى الأبد ..

واوقف " فايت " السيارة ، ثم أخذ مسدس الاسباني من جيبيه ،
ومضى إلى الجراة ففتح بابها ونادى الروسي وزميله وكانا نائمين ..

فاستيقظ " مريديت " أولا يسال عن الخبر .
فقال " فايث " :

- لقد توقفت السيارة ولكني لم اعد اقوى على إدارة المحرك .. تعال
ساعدني..

فامسك " مريديت " مفتاح المحرك في يده ، وعندئذ أطلق عليه " فايث "
الرصاص فجأة فخر صريعا لوقته .

وذعر الروسي ، ولم يدرك سببا لمسك شريكه الألماني ولكن هذا اطلعه
على سبب اقترافه الجريمة حتى يتخلصا من " مريديت " والأسباني
ويستائرا بالاختراعين لنفسهما .

واخيرا تعاونوا على حمل الجثتين إلى ناحية من الطريق بعد أن
أخذوا الرسوم من جيب " مريديت " .. ووضع " فايث " مسدس الأسباني
في يده ، بحيث يبدو تصوير الحادث كأن الرجلين تشاحنا ، فضرب
" مريديت " الأسباني بمفتاح المحرك وعندئذ أسرع الآخر بإطلاق
الرصاص عليه فخرا صريعين لوقتتهما ..

وقبل أن يتركا الجثتين ويكرا راجعين إلى السيارة ، سمعا أزيز
طائرة فوقهما على ارتفاع منخفض .. وكان الصباح يرسل أشعته
الأولى وقتئذ، فرايا طائرة حمراء فوق رأسيهما كما رايا الطيار يميل
في مقعده ويلوح لهما بيده .. غير أن وجهه كان مختفيا خلف القناع
الجلدي السميك فلم يستطيعا تمييزه .

ماكاد الرجلان يعبران القنطرة المعلقة المؤدية إلى القصر حتى
قابلهما "هوسكنز" في المدخل وهو يضحك كالمجنون ويلوح لهما بورقة
في يده قائلا:

- هذا هو سر الغاز .. لقد خضع ذلك اللعين "والدرون" أخيرا ..
فتالقت عينا "الأماني" فرحا وقال :
- حسنا .. وها هو ذا بالمثل "جراهام كالديويل" وزميله وقد
حصلنا على رسوم الطائرة ..

فنسي العجوز وقاره وراح يرقص طربا .. وهو يغمم :
- سوف ترسل صور هذه الأوراق بالبريد الليلة إلى جميع الدول ..
ولما أفاق .. قال :

- ولكن أين "مريدت" و "كورتيز" ؟ ..
- لقد صادفنا حادث عجيب يا مستر "هوسكنز" .. إذ وقفنا

بالسيارة في اثناء الليل للراحة فلما عدنا إليها ظننت انهما مع 'جريجوروف' في الجارة ، بينما ظن صديقي انهما في السيارة معي على حين انهما كانا قد توغلا قليلا في الغابة .. ولا ريب انهما سيلحقان بنا عما قريب ..

- وما الذي اصاب وجهك يامسيو ' جريجوروف ' ؟

- سقطت فوق إحدى الصخور فجرحت ..

- يا لله .. إنها ليلة حافلة بالحوادث ..

فقال ' فايت ' في هدوء :

- إنها كذلك يامستر ' هوسكنز ' . ولكن اين الطبيب ؟ .

- لقد ذهب إلى شركة التأمين لأمري يختص بحريق ' هارتلي كورت ' ..

ولا يلبث ان يعود .. اما 'الدرون' فهو في القبو والمخبر وخطيبته في حجرتهما ..

- هل لي ان أرى طريقة صنع الغاز يامستر ' هوسكنز ' ؟ .

- بلا شك .. هاك هي .. وسوف أنسخ منها النسخ اللازمة لتوزيعها

على الدول ..

- هذا إذا اتسع لك الوقت يامستر ' هوسكنز ' ..

وانقض على العجوز فطرحه أرضا ثم قام بمساعدة ' جريجوروف '

بإحكام وثاقه وحمله إلى القبو .. ثم عادا فحملا ' جراهام ' وزميله إلى القبو كذلك ..

وعادا إلى الربهة العليا ليتفقا على الخطوة التالية .. وعندئذ رايا شخصا يجتاز القنطرة في طريقه إلى القصر . ولم يكن سوى 'كالنسكي' ..

فدهش الألماني وذهب إلى الباب ففتحه وهو يقول :

- هذا شرف لم أكن أتوقعه ياسيدي .

- لا أتوقعه .. وماذا تعني بذلك .. لم يكن بعد رسالتك العاجلة إلا ان

أخف بنفسني إلى الحضور ..

- رسالة عاجلة .. إنني لم أرسل إليك شيئا .

- إنه الدكتور " بلفاج " الذي حدثني عنه .. لقد حضر للفندق وأبلغني أنك تريد أن أحضر للقصر في الحال .

- مادام الأمر كذلك ياسيدي فهناك الرسوم والتصميمات التي اتفقنا عليها .

فتناول " كالنسكي " الأوراق وراح يفحصها قليلا ، وما لبث أن قال :

- حسنا يا " هر " فإيت .. إليك عشرة الآلاف جنيه .. فاخذ " فإيت "

النقود ودسها في جيبه على حين استطرد " كالنسكي " :

- ولكن ماذا فعلتم بالمخترعين ؟

- إنهم في القبو جميعا مع ذلك المافون " هوسكنز " .. اتحب أن

تراهم؟.

فوافق " كالنسكي " ، على حين كان " جريجوروف " يتحرق شوقا إلى

الفرار بأسرع مايسطيع ولكنه لم يملك إلا أن يوافق فهبطوا جميعا

إلى القبو .. وهناك راح " فإيت " يشرح لـ " كالنسكي " كيف يعتزم أن

يقضي عليهم جميعا .

ولم يكن قد أتم حديثه عندما سمع صوتا فيه بحة يهتف من أعلى :

- " فإيت " .. " فإيت " .. أين أنت ؟

فجمد الألماني في مكانه لحظة ، فقد كان الصوت صوت الدكتور

" بلفاج " .. ولكنه صاح به إنهم في القبو فجاء الطبيب يهبط الدرج على

عجل ..

وعندئذ قال " كالنسكي " في قلق :

- من هذا ؟

- إنه الدكتور " بلفاج " ..

- ولكنه ليس الرجل الذي حضر إليّ هذا الصباح . مامعنى ذلك

كله؟.

فاحس " فإيت " كان يدا تمسك بقلبه وتعصره . واستبد به قلق

مفاجئ لم يدرك له كنها .. على حين كان الدكتور " بلفاج " يتكلم في

صوت متهدج بكلمات لم يفهم منها " فإيت " إلا عبارة " الهياكل

البشرية.

فصاح به :

- ماذا تقول ؟

- اقول إن البوليس قد اكتشف أن هيكليين منهما هيكل امرأتين ..

- ماذا .. ماذا قلت .. ؟

وعندئذ انبعثت تلك القهقهة المروعة مرة أخرى .. فدارت الدنيا
بالألماني وراح ينظر حواله كوحش يوشك أن يسقط في الشرك .. وتلا
ذلك صوت يقول بالألمانية :

- هل كانت امسية موفقة يا هرّ فايت ؟ ..

هذه الكلمات التي سمعها أمام مدخل فندق " ريتز " في " لندن " ترى
هل فقد صوابه فجأة ؟ .

ولكنه سمع بعد ذلك صوتا مألوفاً .. وكان يقول :

- يسرني أن نلتقي ثانية يا هرّ فايت " .. هلا صعدت .

كان ذلك صوت مستر " أرلو " الذي تركوه حبيسا في حجرة
العمليات وقد حسبوه مات في الحريق ..

وصعد " فايت " والآخرين الدرج كأنهم في حلم مروّع فإذا بالحجرة
تموج بالرجال .. " ستاننش " و " داريل " و " جريجسون " ، وغيرهم ..
كما رأى " نوريس فينابلز " و " لوفليس " ..

ولم يجد " فايت " مايقوله سوى هذه الكلمات التي كان ينطق بها في
تلعثم:

- كيف .. كيف استطعتم .. الفرار ؟ ..

وكان اهتمامه بأن يسمع الجواب من الشره بحيث لم يشعر بالرجال
الذين كانوا يضعون الاصفاذ حول رسغيه . وتحول " لوبين " إلى
" كالنسكي " قائلا: - يجدر بك أن تنسحب من هنا ياسيدي قبل أن
يقبض عليك البوليس.. ولكن هات الأوراق أولا ..

فاخرجها " كالنسكي " من جيبه في مذلة .. ومالبث أن غابر الحجرة
مطاطى الرأس على حين تقدم " لوبين " فاخذ النقود من جيب " فايت "

ودسها في جيبه والالمني ينظر إليه دهشا ..

واستطرد "لوبين" قائلا :

- لعلك لاتعرف بعض الموجودين هنا .. فدعني اقدم لك المستر "جراهام كالدويل" الضابط المخترع ، وزميله . اجل مستر "جراهام كالدويل" الحقيقي يا هرّ فايت " لا ذلك الذي حملته إلى هنا وسجنته في القبو .. اما الرسوم التي بعثها إلى " كالنسيكي " فهي رسوم طاحونة هوائية كما أن طريقة صنع الغاز التي اخذتموها من "الدرون" لم تكن إلا طريقة صنع المنفحة التي تستخدم في صنع الجبن .

وتحول إلى "جريجوروف" قائلا في لهجة رجال الجبال الايقوسيين :

- كيف حطمت الاشباح انفك يامستر "جريجوروف" ؟

وعندئذ ادرك الرجل ان " مفكرسون " لم يكن سوى هذا الرجل متنكرا ..

وعاد "لوبين" يقول ..

- لقد صفعتني يا "جريجوروف" وكنت مقيدا لا استطيع حراكا .. فكان ينبغي ان احطم وجهك ..

واستطرد يقول في ابتهاج :

- لقد تتبععتكما اينما ذهبتما .. بل لقد كنت اوجه حركاتكما بنفسي.. ولعلكما في شوق لمعرفة ماخفي عليكما ، فاسمعا إذن . لقد كانت الرسالة الحقيقية التي القاها الكابتن "لوفليس" على نافذتي تحمل هذه العبارات :

"ماري جان جسر . ج . ج . ١ . هـ" ولكني لم استطع فهمها إلا بعد فوات الاوان .. اي بعد ان سجنا في حجرة العمليات .. ادركت عندئذ ان "ماري جان" هو ذلك العقار المخدر المكسيكي .. كما ان ج . ج . هو اسم احد جياد السبق الشهيرة اي .. مركز قيادة العصابة وعندئذ جئت إلى هنا وعرفت كل شيء عن اعمالكم البشعة .. وثمة امر آخر لم اشأ ان افضي به إلى مسيو " كالنسيكي " فإنني كنت اقوم بخدمته ليلة اجتماعكم بالفندق متقمصا شخصية " هنري " رئيس الخدم بعد

أن رشوته بالمال ..

وسوف ادعكما الآن موثقين ، حتى يحضر رجال البوليس لسؤالكما
عن مصرع " مريدبت " و " كورتيز " .. فإنك - هر" فايت " في غمرة
انفعالك وضعت المسدس في اليد اليسرى للأسباني .. كما أنني
شهدت جريمتكما وأنا بالطائرة .

وكان الرجلان يسمعان هذه الأقوال وقد جحظت عيونهما دهشة ..
وأخيرا غمغم " فايت " : ولكن كيف خرجتم من الحجرة ؟
- إنني ماهر في فتح الأقفال يا هر" فايت " ..
ثم اقترب منه ، وهو يقول :
- هل سمعت أن قفلا قد استعصى فتحه على " أرسين لوبين " ؟ !

(تمت بحمد الله)